



٩
جامعة القدس يوسف
كلية الآداب والعلوم الانسانية
فرع الآداب العربية
بيروت

٩
الباقلاني : حياته وآثاره
رسالة ماجستير اعدتها
الآنسة سميرة عقيل فرحات

واشرف عليها
المرحوم الآب الدكتور بولس نوبا
الدكتورة وداود القاضي

سنة ١٩٨٠



==

١١

الباقلاني
حياته وآثاره

الباقلائي : حياته وآثاره

الصفحة

٣

٨ - ٦

٢٨ - ٩

٣٨ - ٢٩

٤٣ - ٣٩

٤٤

٥٧ - ٤٦

٨١ - ٥٨

١٢٨ - ٨٢

١٣٥ - ١٢٩

١٤٣ - ١٣٦

الباب الاول :

- حياة الباقلائي وضروب نشاطه الفكرى

الفصل الاول :

- أ - تمهيد
- ب - حياة الباقلائي

الفصل الثاني :

- شخصية الباقلائي الثقافية والفكرية

الفصل الثالث :

- مؤلفات الباقلائي

الباب الثاني :

- آثار الباقلائي : دراسة تفصيلية

الفصل الاول :

- كتاب البيان

الفصل الثاني :

- كتاب اعجاز القرآن

الفصل الثالث :

- كتاب التمهيد

خاتمة :

- المصادر والمراجع

#####

- مكانة الباقلائي

المصادر والمراجع

=====

= ٣ =

الباب الاول
حياة الباقلاني

=

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿هـ﴾ ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ، ورجلا سلعا لرجل

هل يستويان مثلاً

سورة الزمر : ٢٩٠ •

﴿هـ﴾ امن هو قلنيت آنا الليل ساجدا وقائما ، يحذر الاغرة ويرجى

رحمة ربه • قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون ، انما

يتذكر اولوا الالباب

سورة الزمر : ١ •

= ٥ =

الفصل الأول

أ) تمهيد .

ب) حياة الباقلاني .

تمهيد :

بالرغم من ان الباقلاني شخصية كبيرة من شخصيات الفكر الاسلامي في القرن الرابع الهجري ، وبالرغم من تعرض هذه الشخصية لاهم القضايا التي شغلت الفلاسفة آنذاك : كالموجود ، والوجود ، والعدم ، وشغلت علماء الكلام والاسول : كوجود الخالق وصفاته ، وخلق العالمين العلوي والسفلي بما فيهما من المخلوقات ، فان احدا من الدارسين المحدثين ^(١) ، لم يتوفر على دراسة الباقلاني دراسة مستقلة ، مستفيضة مستقسية ، وان تعرض لذكر بعض نواحي نشاطاته الفكرية بشكل جزئي دون استيفاء ، فكل هذا لا يخفي عن دراسة متكاملة ، وان اولية للباقلاني .

ومن المشكلات الاساسية التي يواجهها الدارس لدى دراسة الباقلاني ان المصادر التي تحدثت عنه او ترجمت له ، لم تتفق على بعض الامور الرئيسية التي يجب معرفتها عنه ، فهذه المصادر قد اهملت - مثلا - ذكر سنة ولادة الباقلاني ، واختلفت في نسبه ووفاته ، وفي حياته عامة ، وفي مناصبه التي تسلمها ، وفيما اذا كان قاضيا او قاضي قضاة . كما اختلفت في مذهبه الفقهي هل هو على المذهب المالكي او الشافعي او الحنبلي ^(٢) .

(١) من هؤلاء الدكتور محمد عبد الهادي ابوريدة والدكتور محمود محمد الغضيري في تحقيقهما في كتاب التمهيد طبعة القاهرة ١٩٤٧ ، والدكتور محمد زغلول سلام في تحقيقه . في كتاب نكت الانتصار لنقل القرآن طبعة الاسكندرية ١٩٧١ ، والسيد احمد عقر في تحقيقه في كتاب اعجاز القرآن طبعة ١٩٦٣ ، والسيد محمد زاهد الكوثري في تحقيقه في كتاب الانصاف في اسباب الخلاف طبعة القاهرة ١٩٦٣ ، وهذه الكتب المحققة جميعها هي للباقلاني .

ومن الدارسين الذين تعرضوا للباقلاني في كتبهم الموضوعة حول علم الكلام ومسائله المختلفة . الاب الدكتور ميشال الارفي كتاب مشكلة الصفات الالهية في مذهب الاشعرى (مخطوط مترجم الى العربية انظر مكتبة جامعة القديس يوسف والدكتور عبد الرحمن بدوي في كتابه مذاهب الاسلايين طبعة بيروت ١٩٧١) .

(٢) في مقابلة شخصية وبعد مناقشة رساله ماجستير في جامعة القديس يوسف لـ دورة حزيران سنة ١٩٧٨ بعنوان ابن حزم الاندلسي : حياته وفلسفته ، اثار انتباهي مشكورا ==

ومن هنا حاولت في الفصلين الاول والثاني ، في الباب الاول من هذا العمل المتواضع ان اصل في شأن هذه القضايا الى نتائج نهائية حيث كان ذلك ممكنا ، فرجعت الى معظم المصادر التي نسبت الى بكر محمد بن الطيب الى " الباقلاني " او " ابن الباقلاني " او " الباقلوى " ووجدت الاختلاف ليس في معنى اللقب بقدر ما هو يحدث التباسا للبعض في تحديد شخصيته ، لذلك اخترت اللقب الذى اختاره " ابو حيان التوحيدي " و " ابن الاثير " وغيرهما . ثم اثبت مالكية الباقلاني وابعدت نهائيا فكرة احتمال كونه شافعيا او حنبليا ، هذا وقد وصلت الى نتائج ترجحية حيث كان القطع اليقيني امرا متعذرا . فبقيت فكرة ما اذا كان الباقلاني قاضيا او قاضي قضاة متأرجحة الى ان يأتينا من يثبت احدى الفكرتين . واعتمدت في ذلك على ما دونه المؤرخون عن الباقلاني وما كتبوا عن سيرته الذاتية ونشاطه الفكرى والعلمى الشىء الكثير . وقد اعجبوا بهذه الشخصية الاسلامية الفذة فتناقلوا اخبارها واحدا عن الاخر في بعض الاحيان (١) . وفي احيان اخرى حاول البعض (٢) ، استقصاء المعلومات لظهار شأن هذه الشخصية ورفع مكانتها العلمية .

وفي الباب الثاني اعتمدت على مصنفات الباقلاني التي وصلتنا واهمها كتاب " البيان " وقد اثار فيه مسألة القدرة الالهية والمعجزات الناتج عنها . وكتاب " اعجاز القرآن " عالـج فيه مسألة المعجزات الالهية النازل على محمد فأثبت نبوته بظهور القرآن وميز اسلوبه

== الدكتور محمد عبد الهادى ابوريدة وهو احد محققي كتاب التمهيد للباقلاني (طبعة القاهرة ١٩٤٧) الى اهمية تبين مذهب الباقلاني لاختلاطه على الكثيرين فبالرغم من ظهور شخصية الباقلاني على بساط علم الكلام والفلسفة ، فقد ظل مذهب في غموض وتأرجح بين الشافعية والمالكية الى هذا الحين ، لان احدا لم يأت ببرهان قاطع يفي بالخرص ويحدد ان الباقلاني كان مالكيا ، وليس شافعيا استنادا الى المصادر التي كتبت عنه والى آثاره التي تركها في اصول الفقه والدين .

(١) القاضي عياض في كتابه " ترتيب المدارك " نقل عن الخطيب البغدادي صاحب تاريخ بغداد وابن فرحون نقل عن القاضي عياض .

(٢) الخطيب البغدادي وابن الجوزي استقل كل واحد منهما برأيه فجاءت كتابتهما عن الباقلاني متفقة في المعنى مختلفة في المصدر .

وكتاب التمهيد اثار فيه اختصارا لمختلف المسائل التي اهتم بها معاصروه من فرق غير اسلامية و فرق اسلامية ، مبطلا حجج اللاموحد ين من الطبايعيين والمنجمين ، واشل التثنية ومثبتا فكرة الاله الواحد ، ثم داعيا الموحد ين من النصارى واليهود الى تنزيه الاله واثبات صفاته الذاتية والفعلية مميزا فكرته بهذه عن المخالفين له ، وللاشعرية اصحابه من المتأولين من معتزلة ، وخوارج ورافضة ، مناصرا فرقة اهل السنة والجماعة ومعتبرا ان الاشعرية التي ينتمي اليها من هذه الجماعة .

ولما كانت هذه الكتب جميعها اكثر ابرازا^(١) . لشخصية الباقلاني الفكرية الخصبة المتنوعة . فقد انهيت هذا العمل بخاتمة توجز نتائج البحث عامة بالنسبة لموضوع الباقلاني : حياته وأثاره .

(١) الكتب التي لم تناولها بالبحث : كتاب الانصاف في اسباب الخلاف وكتاب نكت الانتصار لنقل القرآن وسوءالات الرى . ان هذه الكتب لم تكن غنية بقدر اكبر في افكارها من الكتب التي تناولتها بالبحث سواء بالنسبة لعلم الكلام او الفلسفة او لابرار شخصية الباقلاني ككل .

(١) اسم الباقلاني ونسبته :

اجمعت المصادر التي ترجمت للباقلاني على انه : محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم ، المكنى بابي بكر (١) .

وقد اختلفت المصادر في نسبه ، فابو حيان التوحيدى (٢) ، وابن الاثير (٣) ، وابن خلكان (٤) ، وابو الحسن النباهي (٥) ، ويجعلون نسبه " الباقلاني " قال ابن الاثير : الباقلاني " بفتح الباء الموحدة وكسر القاف بعد الالف واللام وفي اخرها النون " (٦) ، وفي نسبة : " الى الباقلان وبيعه " (٧) .

واما الخطيب البغدادي (٨) ، والقاضي عياض (٩) ، وتاج الدين السبكي (١٠) ، وابن العماد الحنبلي (١١) ، فيجعلون نسبه " ابن الباقلاني " ، واما ابن الجوزي (١٢) فيجعل نسبه " الباقلاني " بالواو من دون النون .

وقد يكون لجريان النسب على الاب وانتقاله الى الابن شأن ، احدث هذا الاختلاف ، او قد يكون لتناقل الاسماء والانساب على مر الاجيال شأن اخر ، حصل منه هذا الاستبدال ، فنحن نسب الاب مرة واطلق عليه النسب مرة اخرى ، وهذا امر كثير الحدوث لدى العرب .

(١) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ٥ : ٣٧٩ ، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة مذنب الامام مالك للقاضي عياض اليعقوبي السبكي ٤ : ٥٨٥ تبين كذب الافتري لابن عساكر : ٢١٧ ، المنتظم في التاريخ لابن الجوزي ٧ : ٢٦٥ تهذيب اللباب وتقريب الانساب لابن الاثير ١ : ١١٢ ، وفيات الاعيان لابن خلكان ٤ : ٢٦٩ ، طبقات الشافعية الكبرى لتاج الدين السبكي ٣ : ٣٦٩ ، البداية والنهاية لابن كثير ١١ : ٣٥٠ ، تاريخ قضاة الاندلس لابن الحسن النباهي : ٣٧ ، الديباج المذهب لابن فرحون : ٢٦٧ .

(٢) الامتاع والمؤانسة لابي حيان التوحيدى ١ : ١٤٣ .

(٣) تهذيب اللباب وتقريب الانساب ١ : ١١٢ .

(٤) وفيات الاعيان : ٤ : ٢٦٩ .

(٥) تاريخ قضاة الاندلس : ٣٧ .

(٦) تهذيب اللباب ١ : ١١٢ .

(٧) تهذيب اللباب ١ : ١١٢ .

(٨) تاريخ بغداد ٥ : ٣٧٩ .

(٩) ترتيب المدارك ٤ : ٥٨٥ .

(١٠) طبقات الشافعية الكبرى ٤ : ٢٥٧ .

(١١) شذرات الذهب ٣ : ١٦٩ .

(١٢) المنتظم ٧ : ٢٦٥ .

وقد لقب الباقلاني "بالقاضي" من طائفة من المؤرخين ، نذكر منهم : الخطيب البغدادي (١) وابن الجوزي (٢) ، وابن الاثير (٣) ، وتاج الدين السبكي (٤) .

والباقلاني مالكي المذهب كما بين ذلك القاضي عياض ، على لسان ابن عمار الميورقي : "كان ابن الطيب مالكيًا" (٥) ، وهو ايضا متكلم على "مذهب اهل السنقواهل الحديث" (٦) ، على حد تعبير ابن فرحون ، وقد برزت نزعة الى الاشعرية في علم الكلام في مختلف المصادر التي وهلتنا ومنها تاريخ بغداد ، وفي تاريخ الكامل وصفه ابن الاثير "بالقاضي ابي بكر محمد بن الطيب الاشعري" (٧) ، واتى هذا الوصف عينه على لسان ابن فرحون في الديباج المذهب (٨) ، كما لقبه السبكي "سيف السنة" (٩) .

غير ان اكثر من اسرف في اعطاء الباقلاني القاب المديح هو القاضي عياض ثم ابن فرحون ، والثاني منهما ينقل عن الاول في الغالب ، قالا : "الملقب بشيخ السنة ولسان الامة ، المتكلم على مذهب اهل السنة ، واهل الحد يشو طريقة ابي الحسن الاشعري" (١٠) .

واذا كانت هذه الالقاب ايجابية المنزع ، فان الباقلاني - لم يعدم من يصفه بالالقاب السلبية ، ان نعلم ان ابا حيان التوحيدي في كتابه "الامتناع والموانسة" كان يتيمه بالالحاد فهو "على مذهب الخرمية وطرائق الملحدة" (١١) . وقد يكون ذلك راجعا الى عدواة التوحيدي الشديدة للكلام والمتكلمين ، وذلك موقف عبر عنه ابو حيان في معظم كتبه (١٢) .

- (١) تاريخ بغداد ٥ : ٣٧٩ .
 - (٢) المنتظم ٧ : ٢٦٥ .
 - (٣) تهذيب اللباب ١ : ١١٢ .
 - (٤) طبقات الشافعية ٣ : ٣٦٩ .
 - (٥) ترتيب المدارك ٤ : ٥٨٦ .
 - (٦) الديباج المذهب : ٢٦٧ .
 - (٧) الكامل في التاريخ ٩ : ١٦ .
 - (٨) الديباج المذهب : ٢٦٧ .
 - (٩) طبقات الشافعية الكبرى ٣ : ٣٦٩ .
 - (١٠) ترتيب المدارك ٤ : ٥٨٥ ، الديباج المذهب : ٢٦٧ .
 - (١١) الامتناع والموانسة ١ : ١٤٣ .
 - (١٢) انظر دراسة الدكتور احسان عباس بعنوان "ابو حيان التوحيدي وعلم الكلام" ، في مجلة الابحاث (الجامعة الاميركية في بيروت) العدد ١٩ (١٩٦٦) : ٣٩٥ - ٤٠٦ .
- / ...



= ١١ =

ثم اذا تجاوزنا في تعداد الالقاب على سبيل المجاز لا الحقيقة فان بعض الناس لقب بالاثلاثي
بـ"الشیطان" وقد ذكر هذا اللقب القاضي عياض على لسان ملك الروم ، وعلى لسان ابن المعلم .
وجماعة من اهل مجلسر عضد الدولة فناخرو" الذي لقب نفسه بالملك (١) . ونسب من شيخ المعتزلة
فقد كان داخلا ، اذ سمعهم يذكرون امره ، فقال لهم بعضهم : ما هو الاشیطان فوعمل اليهم ونسب
يتلوا الآية (انا ارسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم ازا) (٢) ، (٣)

-
- (١) الكامل في التاريخ ٩ : ١٦ .
 - (٢) سورة مريم : ٨٣ .
 - (٣) ترتيب المدارك ٤ : ٥٨٩ .

... / ...

(٢) ولادة الباقلاني ونشأته :

احمل المؤرخون القدامى تحديد تاريخ ولادة الباقلاني ^(١) ، وما أدى الى اختلاف الباحثين المعاصرين في وضع سنة تقريبية لولادته ^(٢) ، فلم يحددوها الدكتور عبد الرحمن بدوي ، وكذلك الدكتور محمد زغلول سلام والسيد احمد صقر ، بينما حاول الاب الدكتور ميشال الاردان يحدد عام ولادة الباقلاني بسنة ٣٣٠ هجرية ^(٣) .

ومهما يكن من امر الاختلاف في سنة ولادته فان المؤرخين يجمعون على انه ولد في البصرة وبدا نشأ ^(٤) ، ويبدو انه تلقى تسميلاً لا بأس به من ثقافتها ، فانه عندما دخل بغداد وهو بعد في مطلع شبابه اقام حلقة نظرمع ابن مجاهد " وتعلق الكلام بينهما الى ان انفجر عموود الصبح " ^(٥) .

وقد سكن الباقلاني بدرب المجوس من بغداد ^(٦) ، في الكرخ في الجانب الشرقي من المدينة ^(٧) . وعلى ما يبدو فقد جعل من بغداد مقراً له بعد لجوئه اليها قادماً من البصرة في مطلع شبابه ، وقد تركها مرتين : الاولى الى شيراز فطالت اقامته في هذه المدينة ، بسبب صحبته لعضد الدولة والثانية الى القسطنطينية . ولم تدم اقامته بها طويلاً . فعاد الى بغداد ليستقر بها حتى وفاته .

(١) تاريخ بغداد ٥ : ٣٧٦ ، ترتيب المدارك ٤ : ٥٨٥ ، تبين كذب المفترى : ٢١٧ ، المنتظم ٧ : ٢٦٥ ، تهذيب اللباب ١ : ١١٢ ، وفيات الاعيان ٤ : ٢٦٦ ، طبقات الشافعية الكبرى ٣ : ٣٦٩ البداية والنهاية ١١ : ٣٥٠ ، تاريخ قضاة الاندلس : ٣٧ ، الديباج المذهب : ٢٦٧ .
(٢) عبد الرحمن بدوي في مذاهب الاسلاميين ١ : ٥٦٦ ، محمد زغلول سلام في مقدمة تلك الانتصار للباقلاني صفحة : ١ - احمد صقر في مقدمة اعجاز القرآن للباقلاني : ١٧ - الاب ميشال الاردان في مشكلة الصفات الالهية .

(٣) اجتهاد الاب الدكتور ميشال الازفي وضع سنة تقريبية لولادة الباقلاني ففي كتابه المخطوط مشكلة الصفات الالهية يقول الاب الاريان الخطيب البغدادي ولد عام ٣٩٢ ، وما يتر من عرف الباقلاني عن قرب . وحين وجه عضد الدولة دعوته الى الباقلاني والى شيخه ابي عبد الله بن مجاهد كان ما زال في شيراز ، ثم كان سفر الباقلاني الى القسطنطينية عام ٣٧٢ وهو لم يزل في سنين الاربعين ، فعليه حدد الاب الازفي تاريخ ولادة الباقلاني (انظر الورقة ٢٩٠ من المخطوط ، انظر في مكتبة كلية الاداب الشرقية جامعة القدس يوسف) .

(٤) تاريخ بغداد ٥ : ٣٧٦ ، تهذيب اللباب ١ : ١١٢ ، الديباج المذهب : ٢٦٧ .

(٥) تبين كذب المفترى : ٢٢١ .

(٦) وفيات الاعيان ٤ : ٢٦٩ .

(٧) كان هذا الجانب في القرن الرابع الهجري أهلاً تحتشد فيه الحمامات التي يفوق عددها ==

وكان الباقلاني تقياً ورعاً ، وكان ورده في كل ليلة عشرين ترويجة قال القاضي عياض وغيره :
 " ما ترك ذلك في حضور ولا سفر " (١) وكان عالماً " فاذا صلى المشاء وقضى ورده ، وضع السدواة
 بين يديه ، وكتب خمساً وثلاثين ورقة تصنيفاً من حفظه ، وكان يذكر ان الكتابة بالفداد اسهل عليه
 من الكتابة بالحبر ، فاذا صلى الفجر دفع الى بعض اصحابه ما صنعه في ليلته ، وامره بقراءته عليه
 واملى عليه الزيادات فيه " (٢) . وروى ابن عساكر عن ابي الفتح - يعني ابن الجوزي - انه قال :
 " سمعت ابا بكر الخوارزمي (٣) يقول : كل مصنف ببغداد انما ينقل من كتب الناس الى تصنيفه
 سوى القاضي ابي بكر ، فان صدره يحوى علمه وعلم الناس " (٤) . وقال الحافظ ابن عساكر : " حكى
 من اثنى به ان صاحب بن عباد (٥) كان اذا انتهى الى ذكر الباقلاني وابن فورك (٦) والاسفرائيني (٧)
 وكانوا متعاصرين من اصحاب ابي الحسن الاشعري ... قال لاصحابه : ابن الباقلاني بحر
 مفروق ، وابن فورك صل مطرق ، والاسفرائيني نار تحرق " (٨) .

وان كان الباقلاني زوايا لحياة ابن خفيف (٩) ، شيخ المشايخة الزاهد المتقشف ، كما اعتبره
 تاج الدين السبكي في طبقاته (١٠) ، فانه كان مجادلاً حذقاً ، جادل وزير عضد الدولة حين بشروهم
 بالطالع في خروجه الى القسطنطينية قائلاً باعتقاده في ان الخير والشر من الله تعالى (١١) .
 وجادل ابا اسحاق النصيبيني في مسألة الرؤية (١٢) ، واثار في حضرة الاحدب رئيس معتزلة بغداد
 مسائل كلامية كثيرة (١٣) ، كما اثار مع اساقفة الروم في بلاط امبراطورهم في القسطنطينية مسائل
 التوحيد والصفات الالهية (١٤) .

= على العشرة الآف حمام ويتفرع منه بابيقف فيه الحمامون بحميرهم لانه مدخل القسم التجارى للمدينة
 انظر كتاب الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجرى لادم ميتز ترجمه محمد عبد الهادى ابو
 ريد ٢ : ٢٢٤ ، ٢٧٨) .

- (١) ترتيب المدارك ٤ : ٥٨٨ ، تبين كذب المفتري : ٢٢٠ .
- (٢) ترتيب المدارك ٤ : ٥٨٨ ، تبين كذب المفتري : ٢٢٠ ، شذرات الذهب ٣ : ١٦٩ .
- (٣) هو محمد بن موسى بن محمد المتوفى ٤٠٨ (انظر تاريخ بغداد ٣ : ٢٤٧) .
- (٤) تبين كذب المفتري : ٢٢٠ .
- (٥) هو اسماعيل بن عباد الطالقاني المكنى بابي القاسم والمتوفى ٣٨٥ (انظر تاريخ بغداد ٣ : ٢٤٧) .
- (٦) هو ابو بكر محمد بن الحسن المتوفى ٤٠٦ (انظر رفيات الاعيان ٤ : ٢٧٢) .
- (٧) هو ابراهيم بن محمد بن ابراهيم ابواسحاق المتوفى ٤١٨ (انظر اللبان ١ : ٥٥) .
- (٨) طبقات الشافعية الكبرى ٤ : ٢٥٧ .
- (٩) هو ابو عبد الله محمد بن خفيف بن خفيشاف الصبي والمتوفى ٣٧١ (انظر طبقات الصوفية لعبد
 الرحمن السلمي الصوفى : ٤٨٥) .
- (١٠) طبقات الشافعية ٣ : ١٤٩ .
- (١١) ترتيب المدارك ٤ : ٥٩٤ .
- (١٢) ترتيب المدارك ٤ : ٥٩٢ .
- (١٣) ترتيب المدارك ٤ : ٥٩١ .
- (١٤) ترتيب المدارك ٤ : ٥٩٦ - ٦٠٠ .

فالباقلائي مناظر لا يقطع ، وان اراد له ابن المرتضى في طبقات المعتزلة غير هذا ، فقد اظهر عليه ابا القاسم البستي ^(١) ، في مناظره جرت بينهما وانما فصل ذلك ليرفع شأن ابي القاسم ويعلي من قدره مبينا مكانة القاضي عبد الجبار ، الملقب بقاضي القضاة - ومكانة المعتزلة عامة ^(٢) ، من دون الاشاعة .

والباقلائي رسول مسلم سواء كان في حياته السياسية او في حياته الاجتماعية . يخبر ابن الجوزي انه في سنة ٤٠١ هـ قبل وفاة الباقلائي بسنتين عمل - الباقلائي - وسيطا لرفع الجور ونار الفتنة التي امتدت ما بين الموصل والرقة ، والتي غذاها الخليفة الفاطمي الحاكم بامر الله ^(٣) ، وقام بها قرواشر ^(٤) على الخليفة الحباسي القادر بالله . فاجابته الرعية المملوكة على مضض . الا ان قرواشر كشف القناع عن وجهه ، واظهر المباينة للحاكم ، ولربما حاول ان يستقل بنفسه وهذا ما ازعج الخليفة القادر بالله ، فانقذ الباقلائي رسولا بين الاطراف المتنازعة ، فكتب - الباقلائي - الحاكم بامر الله ، واتصل بقرواشر ، وقد اشار الباقلائي نفسه الى هذا عندما قال : " والله ان عندنا من هذا الامر اكثر مما عند امير المؤمنين . لان الفساد علينا به اكثر ، وقد كاتبنا ابا علي وتقدمنا باطلاق مائة الف دينار يستعين بها على نفقات العسكروان دعت الحاجة الى مسيرنا كما اول طالع على امير المؤمنين ^(٥) . "

وقد انشأ ابو الحسن علي بن عيسى السكري قصيدة في مدح الباقلائي تناقلها ابو بكر الخطيب البغدادي ^(٦) ، وابو تراب الانصاري ^(٧) ، والشريف ابو القاسم ^(٨) ، وغيرهم بابرز فيديا مناقب الباقلائي في الفقه والفتوى والقضاء والحجاج والكلام فمن ابيا هذه القصيدة التي بدأها بالتفضل في محبوبته ثم عتابه : —

- (١) ابو القاسم البستي هو اسماعيل بن احمد اخذ على القاضي وله كتب جيدة وهو يميل الى مذهب الزيدية (انظر طبقات المعتزلة : ١١٧) .
- (٢) طبقات المعتزلة : ١١٧ .
- (٣) هو ابو علي الحاكم بامر الله صاحب مصر (انظر المنتظم ٧ : ٢٤٨) .
- (٤) هو ابو المنيع قرواشر بن المقلد (انظر المنتظم ٧ : ٢٤٨) .
- (٥) المنتظم ٧ : ٢٤٨ .
- (٦) (٣٩٢ - ٤٦٣) .
- (٧) هو حيدرة بن احمد بن الحسين الانصاري المقرئ (انظر تبیین کذب المفتری : ٢١٧) .
- (٨) هو علي بن الحسين الموسوي الشريف المرتضى (انظر طبقات المعتزلة : ٦٩) .

(٣) شيخ الباقلاني

تلقى الباقلاني العلم على عدد من كبار علماء عصره في حقول العدد يـــــــث ،
والفقه ، وعلم الكلام . فمن الذين درس عليهم الحديث : أبو بكر بن مالك القطيعي . وأبو
محمد بن ماسي ، وأبو أحمد الحسين بن علي النيسابوري . وفي الفقه والاصول درس الباقلاني
على أبي بكر الأبهري وعلى أبي عبد الله بن مجاهد الطائي . وأما في النظم فتتلمذ على
أبي عبد الله بن مجاهد الطائي أيضا ، وأبي الحسن الباقلي ، وكان استاذ الروحي أبو
الحسن الأشعري . وسوف ادرس باختصار شديد سيرة كل شيخ من هؤلاء من حيث صلته
بالباقلاني وأثرهم في تثقيفه وتكوين شخصيته الفكرية .

أبو بكر بن مالك القطيعي (١) :

ورد اسم أبي بكر بن مالك شيخا للباقلاني في معظم المصادر (٢) ، التي
ترجمت لحياة ابن الأيب ، فقد سمع عليه الحديث وكان القطيعي " يروى عن أسحاق
وأبراهيم الحزميين ، وعبد الله بن أحمد بن حنبل ، وكان مكثرا " (٣) .

وقد شك البعض بحديثه ، بين غرقت قطيعة له ، كان قد نقلها إلا أنه عــــاد
وأجمع على صحة هذا الحديث ، يقول البرقاني : " كنت شديد التنفير عن حال ابن مالك .
حتى ثبت عندي أنه صدوق ، لا يشك في سماعه ، وإنما كان فيه بلبه ، فلما غرقت القطيعة بالماء
الأسود ، غرق شيء من كتبه فنسخ ما غرق من كتاب لم يكن فيه سماعه ، ولما اجتمعت مع
الحاكم بن عبد الله ابن البيع نيسابور ذكر ابن مالك ، ولينته ، فأناكر علي وقال : ذاك
شيخــــي " (٤) .

- (١) هو أحمد بن جعفر بن حمدان بن مالك (٢٧٤ - ٣٦٨) (انظر تاريخ بغداد ٤ : ٧٣ ، لسان الميزان لابن حجر ١ : ١٤٥) .
- (٢) تاريخ بغداد ٥ : ٣٧٩ ، المنتظم ٧ : ٢٦٥ ، البداية والنهاية ١١ : ٣٥٠ .
- (٣) تهذيب الباب ٣ : ٤٨ .
- (٤) تاريخ بغداد ٤ : ٧٣ .

اما ابو محمد بن ماسي : فقد ذكره الخطيب ، وابن الجوزي في تاريخهما شيخا للباقلاني في الحديث ^(١) ، واعتبره ابن كثير شيخا متكلم مشهورا في الرد على اهل الاهواء " كان يرد على اهل الاهواء باللهم " ^(٢) هكذا عرفه الدارقطني ^(٣) ، حين التقى به يوما . فشيخ الباقلاني ابو محمد بن ماسي قد يذون محدثا ومتكلم معا .

واما ابو احمد الحسين بن علي النيسابوري : فقد اخذ عنه الباقلاني الحديث وكان ثقة . ^(٤)

وقد حدث القاضي الباقلاني ^(٥) عن ابي بكر الابهري : ^(٦) وكان فقيها مالديا عالما ، صنف وشرح مذهب مالدي حتى انتهت اليه الرئاسة فيه ، وكان ابو بكر الابهري شديد الرفق والمؤاساة بطلاب العلم ، يجود عليهم ويكسوهم ، فلما قارب الوفاة " وثيقن حاله ، اخبر اصحابه برؤية فيدا ثلاثة آلاف مثقال . . . فأعطى منحه اصحابه على مراتبهم ، واعطى الاكابر منهم مائة مثقال واعطى الباقلاني مائة وخمسين " ^(٧) .

ويروى السبكي في الطبقات ان ابا عبد الله بن مجاهد الطائي ^(٨) ، صاحب ابا الحسن الاشعري ، ويروي ايضا القاضي عياض وابن العماد ان ابن مجاهد هذا كان " شيخ القاضي (ابي بكر) الباقلاني " ^(٩) في علم النصارى وذلك في اصول الفقه ، فقد كان " مالدي المذهب اماما فيه مقدما " وان " غلب عليه علم الكلام والاصول " ^(١٠) .

- (١) تاريخ بغداد ٣٧٩ : ٥ - المنتظم ٢٦٥ / ٧ .
- (٢) البداية والنهاية ٣٥٠ : ١١ .
- (٣) هو علي بن عمر بن احمد بن مهدي الحافظ الكبير المتوفى سنة ٣٨٥ (انظر البداية والنهاية ٣١٧ : ١١) .
- (٤) تاريخ بغداد ٣٧٩ : ٥ - المنتظم ٢٦٥ / ٧ .
- (٥) ترتيب المدارك ٤٦٦ : ٤ .
- (٦) هو محمد بن محمد بن عبد الله بن صالح (٢٨٩ - ٣٧٥) ، (انظر تهذيب اللباب ٢٧٦ : ١) (وانظر ترتيب المدارك ٤٦٨ : ٤) .
- (٧) ترتيب المدارك ٤٦٨ : ٤ .
- (٨) هو محمد بن احمد بن يعقوب المكنى بأبي عبد الله المتوفى بعد سنة ٣٦٠ ، (انظر العبر للذهبي ٣٥٨ : ٢) ورد في ترجمة الباقلاني للقاضي عياض كنيته بأبي بكر وليس عبد الله وهذا خطأ (انظر ترتيب المدارك ٥٨٦ : ٤) سمع ابو عبد الله محمد البخاري على ابي زيد السمرقاني وله كتب في الأصول (انظر الديباج المذهب : ٢٥٨) .
- (٩) طبقات الشافعية الكبرى ٣٦٨ : ٢٣ .
- (١٠) ترتيب المدارك ٤٨٦ : ٢٣ ، شذرات الذهب ١٦٩ : ٣ . . . / . . .

ويعتبر السبكي ان ابا الحسن الباهلي (١) : كان "شيخ القاضي ابي بكر" (٢) وكان "فقيها مذكورا ببلده" ومن الاشاعة الاولى ، وان لم يثبت انه جالس الشيخ (٣) ، ابي الحسن الاشعري ، ولكن عاينه و"تمذهب بمذهبه وقرأ كتبه" (٤) . ويقول ابو اسحاق الاسفرائيني زميل الباقلاني اليه "سمعت الباهلي يقول : كنت في جنب الاشعري كغفارة في جنب البحر" (٥) .

وكان الباقلاني يرد عليه في يوم الجمعة يقول : "كنت انا وابو اسحاق في الاسفرائيني (٦) وابن غورك (٧) ، معا في درس الشيخ الباهلي ، وكان يدرسلنا في كل جمعة مرة واحدة ، وكان منا في حجاب يرخي الستريننا وبينه كي لا نراه . وكان من شدة اشتغاله بالله مثل واله او مجنون ، لم يكن يعرف مبلغ درسا حتى نذكره ذلك" (٨) .

اما ابو الحسن الاشعري (٩) ، شيخ الباقلاني الروحي فلعله اشهر من ان يعرف ، فهو من متكلمي اهل السنة ناهض المعتزلة واسر مذهبها وسطا بين اهل العقل واهل النقل ، فكان بحسب ما جاء في دائرة المعارف الاسلامية "نهيرا لرأى اهل السنة" (١٠) . وكان الباقلاني يشعر بمتعة ما بعدها متعة حين "يفهم كلام ابي الحسن" كما روى السبكي عنه (١١) . فأفضل احوانه ان يقرأ في كتبه . وابو الحسن الاشعري الذي صار "شجى في حلوق القدرة" ، كما يقول عبد القاهر البغدادي ، قد تترك وراءه تلامذة مشهورين منهم "ابو الحسن الباهلي ، وابو عبد الله بن مجاهد ، وعما اللذان

- (١) هو علي بن عبيد الله الباهلي المتوفى سنة ٣٦٥ (انظر ترتيب المدارك ٥٧٢/٤) .
- (٢) طبقات الشافعية ٣ : ٣٥١ .
- (٣) ترتيب المدارك ٥٧٢/٤ .
- (٤) طبقات الشافعية ٣ : ٣٦٨ .
- (٥) طبقات الشافعية ٣ : ٣٥١ .
- (٦) هو ابراهيم بن محمد بن ابراهيم المتوفى سنة ٤١٨ (انظر تهذيب اللباب ١ : ٥٥) .
- (٧) هو ابو بكر محمد بن الحسن بن غورك المتوفى ٤٠٦ (انظر وفيات الاعيان ٤ : ٢٧٢) .
- (٨) طبقات الشافعية ٣ : ٣٦٨ .
- (٩) هو علي بن اسماعيل يعود نسبه الى ابي موسى الاشعري واختلف في تاريخ ولادته وايضا في تاريخ وفاته (٢٦٠ - ٣٣٠) او (٢٧٠ - ٣٣٥) (انظر وفيات الاعيان ٣ : ٢٨٤) .
- (١٠) دائرة المعارف الاسلامية مادة اشعري ١ : ٣٢٥ .
- (١١) طبقات الشافعية ٣ : ٣٥١ .

اثر تلامذة هم الى اليوم شموس الزمان وائمة العصر ٠٠٠ كآبي بكر محمد بن الطيب الباقلائي (١).
وقد كانت للباقلائي غير مناظرة مع بعض شيوخه كما سوف يظهر فيما يلي :

(١) الفرق بين الفرق لعبد القاهر البغدادي : ٣٦٤ .

(٤) نشاط الباقلاني في المناظرة والتدريس :

وإذا كان الباقلاني قد درس على عدد غير قليل من كبار علماء عصره ، فإنه بعد أن جلس للتعليم والتأليف خرج جماعة من الطلاب ما لبث بعضهم أن نال مكانة عالية في مختلف حقول العلم .

وقد كانت دعوة عضد الدولة ^(١) ، فرصة من الفرص التي سنحت امام الباقلاني لنشر علمه ، إذ أنه حين كان مستقرا في شيراز أرسل في طلبه وشيخه ابن مجاهد ليشغلا " مكان ادمس السنة والجماعة " الذي كان شاعرا في مجلسه ، هذا المجلس كان يحوى عددا غير قليل من كل فن : أدباء وشعراء ، وفقهاء ومتكلمين ، وكانت تعقد لهم الجلسات للمناظرة ^(٢) .

ورأى الباقلاني أن يغير من مسلك أهل السنة في التعامل مع أهل السلطان فلا يشيهر على ما سار عليه السابقون ، أمثال ابن كلاب ^(٣) ، والمحاسبي ^(٤) ، وحثه أن يواجهه . ولم يرس أن ينكفئ ، ويتراجع ، يقول ردا على شيخه الذي لم يستجب لدعوة عضد الدولة : " كذا قال ابن كلاب والمحاسبي ومن في عصرهم : أن المأمون فاسق لا نحضر مجلسه حتى ساق أحمد بن حنبل وجري عليه بعدما عرف ، ولو ناظره لكفوه عن هذا الأمر وتبين لهم ما هم عليه بالحجة ، وانت أيضا أيها الشيخ تسلك سبيلهم

(١) هو أبو الحسن بين بويه فناخسروا ابن ركن الدولة ، وهو أول من أطلق على نفسه لقب الملك في الإسلام ، تولى إقليم فارس سنة ٣٣٨ وهو ما زال في الرابعة عشرة من عمره ، ثم ما لبث أن استولى على ديار ريعة وكر و معظم بلاد الجزيرة العربية ، وامتد ملكه إلى العراق فدخل بغداد سنة ٣٦٧ ، واستقر فيها إلى أن توفي " على اثر نوبة عرج خففته في شوال من سنة ٣٧٢ ، كان عضد الدولة محبا للعلم ومحبا للعباد فظهر قبر الامام علي بن ابي طالب في الكوفة واستحدث المارستان " وهو مكان للاستشفاء ورفع الجباية عن الحاج " وأطلق الصلات " (انظر المنتظم ٧ : ١١٣ والكامل لابن الاثير ٩ : ١٨) .

(٢) ترتيب المدارك ٤ : ٥٩٠ .

(٣) هو عبد الله بن محمد بن كلاب القلان وهو من بائية الحشوية (انظر الفهرست لابن النديم : ٢٥٥) .

(٤) هو الحارث بن اسد ابو عبد الله المتوفى سنة ٢٤٣ (انظر اللباب ٣ : ١٧١ ، وفيهات الاعيان ٢ : ٥٧) .

حتى يجري على الفقهاء ما جرى على احمد ^(١) ويقولوا يخلق القرآن ، ونفى الرؤية
وها أنا خائف ان لم تنجح ^(٢) .

وشأن عدد كبير من الروايات ، فقد حصل اختلاف في معرفة شخصية الشيخ
الذي حاوره الباقلاني ، وشاء القاضي عياض في اى الشيخين : ابي الحسن ام ابي
عبد الله بن مجاهد الطائي وافته الدعوة الى عهد الدولة ، فكتب اسم الاول وحكى على
لسان بعضهم ان يكون الثاني هو المقصود . ويدل الحوار الدائر بين الشيخ وتلميذه
على ان شخصية الباقلاني قادرة متحفزة ، تتحرك اذا واثمها الفرصة المناسبة ، فالباقلاني
يقبل دعوة عضد الدولة ، ويصمم على الخروج اليه ، والشيخ يرفضها ويحجب : " هؤلاء
كفرة فسقة . لا يحل لنا ان نطأ بساطهم ، وليس غرض الملك من هذا الا ان يقال :
ان مجلسه مشغل على اصحاب المخابر كلهم ولو كان خالصا لله لنهضت " ^(٣) .

هل يسافر الجاهلي لهؤلاء الذين يعتبرهم فسقة فجرة ، وهو الـ الذى
يخفي وراء حجاب ، فلا يخرج خوفا من ان تراه العين التي تنقل رؤية السوق ، ولا يظهر
على احد من الناس ، حتى ولو كانت خادمته ، فكيف يخرج ؟ ^(٤) . ثم نسمعه يجيب
تلميذه : " اما اذا شرح الله صدرك لهذا فاخرج " ^(٥) . وكأننا نفهم منه : لو كان صدرى
قد انشأ انا الاخر لهذا الامر لخرجت .

ان هذه الصفات تنطبق على ابن مجاهد ، الذى كان يدعو الى تعلم
اصول علم الكلام ، ويعتبر ان كل علم عيب لهذا العلم :

-
- | | |
|-----|---------------------------|
| (١) | المقصود : احمد بن حنبل . |
| {٢ | ترتيب المدارك ٥٩٠ : ٤٠٤ . |
| {٣ | ترتيب المدارك ٥٩٠ : ٤٠٤ . |
| {٤ | طبقات الشافعية ٣ : ٣٦٨ . |
| {٥ | ترتيب المدارك ٥٩٠ : ٤٠٤ . |

... / ...

"ايها الخغددي ليطلب علما
كل علم عبد لعلم الكلام
تطلب الفقه كي تصحح حكما
ثم اغفلت منزل الاحكام" (١) .

وابن مجاهد يناقش ويخاصم ، ويستضيف الاصدقاء وينزل ضيفا عليهم ، من اجل عقد حلقات العلم ، ولا ينفك يتابع خصمه ويجادل له حتى انبلاج الفجر (٢) . وقد جرت مناظرة بينه وبين الباقلاني حين ورد بخداد ، ذكرها ابن عساكر قال : " لما قدم القاضي ابو بكر الاشعري بخداد ، دعاه الشيخ ابو الحسن التميمي رحمه الله ، امام عصره في مذهبه ، وشيخ عصره في ربه ، وحضر الشيخ ابو عبد الله بن ساجد ، والشيخ ابو الحسن محمد بن احمد بن سمعون ، وابو الحسن الفقيه ، فجرت مسألة الاجتهاد بين القاضي ابي بكر ، وبين ابي عبد الله بن مجاهد ، وتعلق الكلام بينهما الى ان انفجر عمود المصح ، وظهر كلام القاضي عليه رحمه الله (٣) .

والباقلاني في كل حين كان قادرا على ان يواجه خصمه ، ويسخر لسانه ثم قلمه لغرضه الذي يندفع من اجله فيرد على ابن المعلم الذي لقبه " بالشیطان " بأية من قول الله تعالى : (انا ارسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم ازا) (٤) . والمعنى في ذلك " اذا كنت شيطانا فانت ذافر " ولم يتورع الباقلاني من ان يسلط يده حين احتدم الجدل فقد " رماه ابن المعلم (٥) ، بكف بقاء اعداء له ليخجله ويحصره فرد القاضي للذين يده الى كفه ورماه بدرة اعدائها له (٦) .

ثم ان الباقلاني لا يزال يعتقد حلقات العلم اينما استقر في بخداد في جامع المنصور ، وفي شيراز في بلاط عضد الدولة . وكان المريدون يتصدونه من مختلف

- (١) الديباج المذهب : ٢٥٨ .
- (٢) تبیین کذب المفتری : ٢٢١ .
- (٣) تبیین کذب المفتری : ٢٢١ .
- (٤) سورة مريم ١٦ : ٨٣ .
- (٥) هو محمد بن محمد بن النعمان ، الشيخ المفيد عالم الرفضه ابو عبد بن المعلم المتوفى ٤١٣ وكانت علاقته بعضد الدولة وطيدة (انظر لسان الميزان ٣٦٨ : ٥) .
- (٦) الديباج المذهب : ٢٦٧ .

٢٣ = *

انحاء الخلافة الاسلامية ، ومن مختلف الفئات ، وسوف اذكر فيما يلي بعض من ذكرت المصادر
انهم درسوا عليه ، وأبين طبعية علمته بهم باعتبارهم تلامذة له .

(٥) تلامذة الباقلاني :

يذكر القاضي عياض ان الباقلاني لم يزل مع الملك عضد الدولة في شيراز حتى دفع اليه
 "ابنه" ليعلّمه مذهب اهل السنة ^(١) ، فألف كتاب التمهيد لهذه الغاية ، فأتى الكتاب
 مختصراً يرضي ميل الأمير ، ورغبته في الاتساع دونما عناء ^(٢) . واخذ عن الباقلاني مع
 الأمير ابن عضد الدولة جماعة من اهل السنة فبي شيراز منهم ابو عبد الرحمن السلمي الصوفي ^(٣) ،
 فقرأ عليه مع هؤلاء كتاب "شن الملح" ^(٤) . وكان ابو عبد الرحمن كثيراً من الحديث وله تصانيف
 في علم الصوفية ^(٥) .

ومن تلامذة الباقلاني ، ابو عمران الفاسي ^(٦) ، وهو فقيه اهل القيروان ، مالكي مــــن
 الطبقة الثالثة للأشعرية كما رتبها السبكي ^(٧) ، كان ابو عمران قد تفقه بالمغرب والاندلس ،
 الا انه لما حضر مجلس القاضي عاد كالمبتدئ . يروى القاضي عياض على لسان ابي عمران يقول :
 " فلما حضرت مجلس القاضي ابي بكر ، ورأيت كلامه في الاصول والفقه ، مع هؤلاء الفوالمخالف محقرت
 نفسي وقلت : لا اعلم من العلم شيئاً ورعجت عنده كالمبتدئ " ^(٨) .

ومن تلامذة الباقلاني ايضاً ، القاضي عبد الوهاب المالكي ^(٩) ، وقد كان فقيها مالكيــــــــــــــــا ،
 ليس بين المالكيين احد افقه منه ^(١٠) ، على حد تعبير ابن الجوزي ، ويعتبره

- (١) ترتيب المدارك ٤ : ٥٩٣ .
- (٢) التمهيد للباقلاني طبعة بيروت ١٩٥٧ ، صفحة : ٤ .
- (٣) هو محمد بن الحسين بن محمد بن موسى المتوفى سنة ٤١٢ (انظر تهذيب اللباب ٢ : ١٢٩) .
- (٤) ترتيب المدارك ٤ : ٥٩٣ .
- (٥) تهذيب اللباب ٢ : ١٢٩ .
- (٦) هو ابو عمران موسى بن عيسى بن - بجج الفاسي (انظر تهذيب اللباب ٢ : ٤٠٧) .
- (٧) طبقات الشافعية ٣ : ٣٧٢ .
- (٨) ترتيب المدارك ٤ : ٥٨٧ .
- (٩) هو ابو محمد عبد الوهاب بن علي بن نصر بن احمد ، وهو من ذرية مالك بن طوق التغلبي
 (انظر وفيات الاعيان ٣ : ٢١٩) .
- (١٠) المنتظم ٨ : ٦١ .

السبكي من الطبقة الثالثة للأشعرية ^(١) ، تولى القضاء بمدينة اسعرد ، وقيل كان قاضيا في باداريا وباكسايا ، وهما بلدتان من أعمال العراق ^(٢) .

وكذلك ابو جعفر السمنائي ^(٣) : من تلامذة القاضي أبي بكر ، اخذ عنه اصول الفقه والدين ^(٤) ، وكان ابو جعفر ثقة نبيل في الحديث النبوي وعلى مذهب ابي حنيفة في الفقه ^(٥) ، غير انه في الكلام كان من الطبقة الثالثة للأشعرية ، على حسب تصنيف السبكي ، وكان قاضيا على الموصل ^(٦) .

ومن تلامذة الباقلاني البارزين ابو ذر الروري ^(٧) ، وهو من فقهاء المالكية يتحرى في الفتيا ، زاهد متشف فاضل ، قال القاضي عياض : " وكان ناشرا للعلم ، سكن الحرم وجاور فيه الى ان مات وسمع منه عالم لا يحصى من اهل الاقطار " ^(٨) ، ومنه اخذ المغاربة مذهب الاشعري ، وكان يقول انه اخذ مذهب مالك عن الباقلاني ^(٩) ، وكان سبب اخذ عن القاضي أبي بكر ، ومعرفتي بقدره ، اني كنت مرة ماشيا ببغداد مع ابي الحسن علي الدارقطني اذ لتيت شابا ، فاقبل الشيخ ابو الحسن عليه وعظمه ودعا له فقلت للشيخ : من هذا الذي تصنعه هذا ؟ فقال لي : هذا ابو بكر ابن الطيب ، نصر السنة ، وتمتع المعتزلة ، واتنى عليه ، فاختلفت اليه ، واخذت عنه من يومئذ ^(١٠) .

ويروى السبكي ان رافعا الحمال وهو ابن نصر البغدادي ^(١١) ، قرأ على من قرأ على القاضي ، واخذ عنه علم الاول ^(١٢) ، وهو الفقيه الزاهد المعروف بالجمال

- (١) طبقات الشافعية ، ٣٧٢ : ٣٧٣ .
- (٢) وفيات الاعيان ، ٣ : ٢١٦ .
- (٣) هو محمد بن احمد بن محمد القاضي (٣٦١ - ٤٤١) (انظر المنتظم ٤٨ : ١٠٦) .
- (٤) ترتيب المدارك ، ٤٨٦ : ٤٨٧ .
- (٥) البداية والنهاية ، ١٢ : ١٠٦ .
- (٦) طبقات الشافعية ، ٣٧٢ : ٣٧٣ .
- (٧) هو عبد الله بن احمد بن محمد بن عبد الله (٣٥٦ - ٤٣٥) له كتاب السنة والصفات ، وكتاب الجامع وغيرها (انظر ترتيب المدارك ، ٤٨٦ : ٤٨٧) (البداية والنهاية ، ١٢ : ٥٠) .
- (٨) ترتيب المدارك ، ٤٨٦ : ٤٨٧ .
- (٩) البداية والنهاية ، ١٢ : ٥٠ .
- (١٠) ترتيب المدارك ، ٤٨٦ : ٤٨٧ .
- (١١) هو رافع بن نصر ابو الحسن البغدادي المتوفى سنة ٤٤٧ (انظر طبقات الشافعية ، ٣٧٢ : ٣٧٣) .
- (١٢) طبقات الشافعية ، ٤٨٦ : ٣٧٦ .

وقد اعتمد عليه السبكي في معرفة مذهب الباقلاني المالكي (١).

ومن الذين اخذوا اصول الفقه والدين عن الباقلاني ابو عبد الله الادري (٢). وقد ذكر ابن عساكر في كتاب التبيين "ان ابا الحسن بن داود لما كان يعلي في جامع دمشق تكلم فيه بعذر الحشوية ، فكتب الى القاضي ابي بكر محمد بن الطيب بن الباقلاني الى بغداد يعرفه ذلك ، ويسأله ان يرسل الى دمشق من اصحابه ، من يوضح لهم الحق بالحجة فبعث القاضي تلميذه ابي عبد الله الحسين بن حاتم الادري ، فعقد مجلس التذكية في جامع دمشق في حلقة ابي الحسن بن داود ، وذكر التوحيد ونزه المعبود ، ونفى عنه التشبيه والتحديد ، فخرج اهل دمشق من مجلسه وهم يقولون احد احد " (٣) ، وقد انتقل ابو عبد الله الى المغرب ، فاستوطن القيروان ونشر العلم بتلك الناحية " (٤).

على ان ابن الجوزي يروي عن ابي يعلى الحنبلي (٥) ، "انه اول من سمع من ابي بكر بن الطيب " وهو الذي ينتمي الى مذهب الامام احمد ابن حنبل ، وكان ابو يعلى قاضيا بدار الخلافة والحريم ، وكان له في الاصول والفروع القدم العالي "عرف القرآن وعلومه والحديث والفتاوى والجدل " (٦) ، ومع زهده وعفته ، فقد اشتغل في العلم ونشره .

اما ابو محمد بن اللبار التيمي (٧) ، فقد كان ثقة ويروي الذهبي عنه ، انه صاحب الباقلاني ، ودرس عليه علم الاصول (٨).

- (١) طبقات الشافعية ٤ : ٣٧٦ .
- (٢) هو ابو عبد الله الحسين بن حاتم (انظر تبين كذب المفترى : ٢١٦) ورد الادري بالذال وليس بالذال في ترتيب المدارك ٤ : ٥٨٦ .
- (٣) تبين كذب المفترى : ٢١٦ .
- (٤) تبين كذب المفترى : ٢١٦ .
- (٥) هو محمد بن الحسين ابن محمد بن احمد الفراء (٣٨٠ - ٤٥٨) (انظر المنتظم ٨ : ٢٤٣) .
- (٦) طبقات الحنابلة : ١ : ١٩٣ .
- (٧) هو عبد الله بن محمد الاصبهاني المتوفى سنة ٤٤٦ (انظر العبر للذهبي ٣ : ٢١١) .
- (٨) العبر ٣ : ٢١١ .

(٦) وفاة الباقلاني :

وردت روايتان في وفاة الباقلاني ، ليس فيهما اختلاف في تاريخ سنة
الوفاة ، ولا في الشهر ، وان حصل خطأ في عدد الايام المتبقية ، من شهر ذي القعدة
الذي حصلت فيه الوفاة . فأبو بكر الخطيب البغدادي يجهل ان الباقلاني توفي (يوم
السبت لتسع بقين من ذي القعدة سنة ثلاث واربعمائة) ^(١) ، وقد نقل هذا التاريخ
القاضي عياض مستشهدا برواية ابي عمران الفاسي ، وهو تلميذ لازم الباقلاني بعد
ان اتى بغداد قادما من المغرب ليتفقد عليه ، ويتعلم اصول الكلام ، كما اشير اليه
من قبل فيذكر الفاسي انه استمع الى ابي بكر ، وهو ينص املاء " في شهر رمضان من سنة
اثنتين واربعمائة " ^(٢) ، هذه رواية اولى ، واما في رواية ثانية فيؤكد ابن عساكر
وفاة القاضي " يوم السبت الثالث والعشرين من ذي القعدة سنة ثلاث واربعمائة ...
ودفن في داره بنهر دابق . ثم نقل الى باب حرب ، ودفن في تربة بقرب قبر الامام
ابي عبد الله احمد بن حنبل رضى الله عنه " . ونقش على ناصب عند قبره " هذا قبر القاضي
الامام السعيد ، فخر الامة ، ولسان الملء ، وسيف السنة عماد الدين ، وناصر الاسلام
ابي محمد بن الطبيب البصري قدس الله روحه ، والحقه بنبيه محمد صلوات الله عليه
وسلامه ، يزار ويستسقى ويتبرك به " ^(٣) .

وكذلك اثبتت مصادر اخرى سنة ٤٠٣ هجرية تاريخا لوفاة الباقلاني منها :
كتب ابن الجوزي ، وابن الاثير ، وابن فرحون ، وابن خلكان ^(٤) ، فالباقلاني " توفي
يوم سبت ، ودفن يوم احد " ^(٥) ، وهلى عليه ابنه الحسن ^(٦) ، الذي كان مرجحوا
ان يمصب كآبيه الا ان المنية وافته باكرا . قال ابن عساكر : " وحضر الشيخ ابو الفضل

-
- | | |
|-----|---|
| (١) | تاريخ بغداد ٣٨١ : ٥ |
| (٢) | ترتيب المدارك ٥٨٨ : ٤ |
| (٣) | تبیین کذب المفتري ٢٢٣ |
| (٤) | المنتظم ٢٦٥ : ٧ ، تذيب اللباب ١١٢ : ١ ، وفيات الاعيان ٢٦٩ : ٤ . الدياج المذهب ٢٦٧ |
| (٥) | وفيات الاعيان ٢٦٩ : ٤ |
| (٦) | ترتيب المدارك ٥٨٨ : ٤ |
- ... / ...

التميمي يوم وفاته خافيا مع اخوته واصحابه وامران ينادى بين جنازته ، هذا ناصر السنة
والدين وهذا امام المسلمين هذا الذي كان يذب عن الشريعة والسنة المخالفين
وقعد للعزاء ثلاثة ايام ، فلم يبق ، وكان يزور تربته كل يوم جمعة ... (١) .

ونظم ابو بكر احمد بن علي مرثاة من بيتين انشدها ابو نصر عبد السيد بن
محمد بن عبد الواحد يقول :

انظر الى جبل تمشي الرجال به وانظر الى القبر ما يحوى من الصلف
وانظر الى صام الاسلام منغمدا وانظر الى درة الاسلام في المصنف (٢)

وكاه كثيرون منهم ابو بكر الخطيب ، وابو تراب الانصاري ، والشريف ابو
القاسم مويعد موته بشهر روي ابو الفضل عبد الله بن علي المغربي ، انه رآه ، في منامه
قال : " سرت انا وابو علي بن شاذان والقاسم عبيد الله بن احمد بن عثمان الصيرفي
الى قبر القاضي ابي بكر بعد موته ... لنترحم عليه . فرفعت مصحفا كان على القبر
وقلت : اللهم بين لي في هذا المصحف حال ابي بكر ، وما صار اليه ، ثم فتحت المصحف ،
فاذا فيه (يا قوم ارايتم ان كنت على بينة من ربي . واتاني رحمة من عنده فعصيت
عليكم ، انلزمكموها ، وانتم لها كارهون) (٣) (٤) .

-
- | | |
|-----|--|
| (١) | تبين كذب المفتري : ٢٢١ . |
| (٢) | تبين كذب المفتري ٢٢٣ - ٢٢٤ . |
| (٣) | سورة هود ٢٨١ . |
| (٤) | ترتيب المدارك ٥٨٩٦٤ ، تبين كذب المفتري : ٢٢٢ . |

الفصل الثاني

شخصية الباقلاني
الثقافية والفكرية

===

(١) الباقلاني القاضي :

يذكر القاضي عياض في ترتيب المدارك ^(١) ، ان الباقلاني تولى القضاء " بالشعر " ^(٢) ، وشواهم غير محدد لكثرة الثغور في الدولة الاسلامية . على اننا نعلم عن طريق السبكي . ان ابن دلوية تولى القضاء بعكبرا من قبل الباقلاني ^(٣) ، وعكبرا ليست من الثغور ، فلهذا الباقلاني تولى القضاء غير مرة في غير مكان في الدولة الاسلامية . ولعل مما يؤكد هذا الاستنتاج ، ان احدا من المساور ^(٤) ، التي وصلتنا لم يحدد التاريخ الذي كان فيه الباقلاني قاضيا ، ولا التاريخ الذي ولي فيه ابن دلوية مع ان لقب " القاضي " نعته به انما هو وخصومه ، وجرى عليه فلازم اسمه .

(٢) الباقلاني المالكي :

لقد دعا البعض الى التشكيك في مذهب الباقلاني واختلفوا فيما اذا كان مالديا ، ار شافعيا ، فنسبه مترددون الى المذهب المالكي ^(٥) ونسبه آخرون الى المذهب الشافعي ^(٦) . بينما فئة ثالثة لم تؤكد على شافعيته ولا على مالكيته ، بل تركت مذهبه الفقهي وحددت مذهبه الكلامي ، فنعتته " بالمتكلم على مذهب الاثري " ^(٧) . وهذا غريب جدا " كما يعلق ابن كثير ، فينقل عن ابي ذر الهروي (وقد كان هذا تلميذا للباقلاني) ان ابن الطيب كان مالكيًا ويروى عن اقدمهم انه كان شافعيًا ، ويذكر رواية ثالثة ان الباقلاني كان حنبليًا يكتب على الفتاوى : " كتبه محمد بن الطيب الحنبلي " ^(٨) .

- (١) ترتيب المدارك ٥٨٦: ٤ .
- (٢) الثغر بلدة حدودية ، تقع في دار الاسلام على حدود دار الحرب او على حدود البحر من دار الاسلام .
- (٣) طبقات الشافعية ٦٠: ٢٤ .
- (٤) تاريخ بغداد ٣٧٩: ٥ ، ترتيب المدارك ٥٨٦: ٤ .
- (٥) ترتيب المدارك ٥٨٦: ٤ ، شذرات الذهب ١٦٩: ٣ .
- (٦) البداية والنهاية ٣٥٠: ١١ .
- (٧) تاريخ بغداد ٣٧٩: ٥ ، تبين كذب المفتري ٢١٧ . تهذيب اللباب ١١٢: ١ .
- (٨) وفيات الاعيان ٢٦٩: ٢٤ . البداية والنهاية ٣٥٠: ١١ .

وسبب الاختلاف فيه ان الباقلاني ، لم يكن شافعيًا ، بالرغم من قوله في بعض
فقهاء الشافعية " اعلم ان هذه الطائفة من اصحابنا " (١) . فالصحة لا تعني بالضرورة الاشتراك
في المذهب ، وقد كان للباقلاني ايضا اصحاب على مذهب ابن حنبل ، فحين قدم بغداد
نزل عليه على ابي الحسن التميمي الحنبلي (٢) ، وروى ابو الفضل التميمي (٣) قال : " اجتمع
رأسي ورأس القاضي ابي بكر محمد بن الطيب على مخدة واحدة سبع سنين " (٤) . ومثل هذا
لا يعني ان الباقلاني كان حنبليًا مثلاً ، فالامر الذي لا شك فيه ان الباقلاني كان مالكيًا
لان القاضي عياض اورد له ترجمة في ترتيب المدارك واعتبره مالكي المذهب (٥) . وكذلك فعل
ابن فرحون في الديباج المذهب (٦) . وقد اثبت تاج الدين السبكي ، لنفي الشك عن مذهب
الباقلاني ، مالكيته ، كما اثبت شافعية شيخه الروحي ابي الحسن الاشعري يقول : " كان
(الاشعري) شافعيًا تفقه على ابي اسحاق المروزي ، وكان القاضي ابو بكر الباقلاني شافعيًا
الاشاعرة مالكيًا " (٧) .

ويروى السبكي على لسان رافع الحمال " ان سبب الوهم فيه ان القاضي ابا بكر
(الباقلاني) كان يقال له الاشعري لشدة قيامه في زهرة مذهب الشيخ (يعني ابا الحسن
الاشعري) وكان مالكيًا على الصحيح الذي صرح به ابو المعافى بن السمعاني في (القواطع)
 وغيره من النقلة الاثبات خلافًا لمن زعمه شافعيًا " (٨) .

على ان هذا المتكلم على لسان اهل السنة كما اراده عبد القاهر البغدادي فسي
الفرق بين الفرق . والذي هو اليوم - اي في زمن عبد القاهر - " من شعور الزمان رائحة العسر " (٩) .

- (١) طبقات الشافعية ٢ : ٢٠٢ .
- (٢) هو عبد العزيز بن الحارث التميمي المتوفى سنة ٣٧١ (انظر المنتظم ٧ : ١١٠) .
- (٣) هو ابن الحارث بن راشد ابو الفضل التميمي المتوفى سنة ٤١٠ (انظر المنتظم ٧ : ٢٩٥) .
- (٤) تبين كذب المفتري ٢ : ٢٢١ .
- (٥) ترتيب المدارك ٤ : ٥٨٦ .
- (٦) الديباج المذهب ٢ : ٢٦٧ .
- (٧) طبقات الشافعية ٣ : ٣٥٢ .
- (٨) طبقات الشافعية ٣ : ٣٦٦ .
- (٩) الفرق بين الفرق : ٣٦٤ .

وظهوره على محمد صلى الله عليه وسلم ^(١) ، ولسوف ابعد في كل مسألة علي حدى علي استوضح رأي الباقلاني فيها .

(أ) - مسألة التوحيد :

ان مسألة التوحيد التي اثرت بين العقيدتين المسيحية والاسلامية اظهرت الاتفاق بينهما على ان للعالم خالقا ومدبرا ، بينما اظهر اختلافهما في طريقة التوحيد وطبيعة الايمان ، فحيسى ابن مريم في رأي الباقلاني المؤمن ، ليس ابن الله وذا امر من الامور التي يشدد عليها الاسلام في ناحية التوحيد ، قال تعالى : (ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله) ^(٢) . وعليه فاحياء الموتى وبراء الالمة ، والا برضى ليس من فعل المسيح ، وانما من فعل الله تعالى .

فالانبياء " لا يفعلون المعجزات من ذاتهم ، وانما يوشىء يفعلها الله على ايديهم تصديقا لهم " ^(٣) فقد اتى في القرآن ان المسيي فعل المعجزات . (بازن الله) ^(٤) . فاحياء الموتى وبراء الأكلة والابرص ، لا من ذاته ، ذما ان موسى غلق البحر ، واخرج يده بيضاء من غير سوء لا من ذاته . والمسيح انسان مخلوق نذير من البشر ، وقد حملت المعجزات على يديه تصديقا لنبوته ، واثباتا لرسالته .

فلا يمكن لاله المنزه عن كل شيء ، ان يتجسد انسانا فيقتل ويصلب ويحذب كغيره من البشر ، وهو القادر على ان ينجي نفسه من الهلاك وليس فعله هذا ، فيما لو اتى

== ٥٩٤:٤ - ٥٩٦ ، وكان القاضي عياض كثيرا في نقلها وتنويعها ، ابن الجوزي في المنتظم ٢٦٥:٧ ، ابن الاثير في تاريخه الكامل ١٦:١ ، ابن كثير في البداية والنهاية ٣٥٠:١١ ، ثم ابن الحسن النباهي في تاريخ قضاة الاندلس ٣٧: ٤٠ ، وقد نقل ابو الحسن عن القاضي عياض .

- (١) ترتيب المدارك ٥٩٨:٤ .
- (٢) سورة المؤمنون ٩١: ترتيب المدارك ٥٩٨:٤ .
- (٣) ترتيب المدارك ٥٩٦:٤ .
- (٤) سورة آل عمران ٤٩:٠ ، ترتيب المدارك ٥٩٦:٤ .

به بحكيم ، لان الحكمة تمنع من التعرض للبلاء ومن كان غير حكيم يبطل ان يكون الهيا (١) .

(ب) الصفات الالهية :

(١) القدرة :

اثار الاحدب (٢) . رئيس مستزلة بغداد (٣) ، في مجلس عقد الدولة مسألة القدرة الالهية في وضع من الاحتمالات ، وكانت في " حل لله ان يكلف الخلق ما لا يطيقون (٤) " . وقد شن الباقلاني المسألة الى قسمين : ١ - مسألة التكليف ، ٢ - مسألة ما لا يطاق (٥) . واجاب ان التكليف المجرد موجود من الله تعالى كقوله : (انبئوني باسماء هؤلاء) (٦) . واما ما لا يطاق فوجوده غير وارد ، لان المكلف اما ان يكون عاجزا لا يستطيع تحمله ، واما ان يكون كافرا ، فيعجز عن الايمان لاشتغاله بالكفر ، وقد استشهد الباقلاني على هذا بأن الله تعالى اتى على من سألته الا يكلفه ما لا يطيق بقوله (ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به) (٧) .

فالله في نظر الباقلاني قادر على ان يخلق ما يشاء وفي اية ساعة يشاء - الا انه لا يفعل لوعده ايانا بيوم الحساب (٨) . وقد يخرق العادة ويخلق انسانا من غير ابوين ، فتتغير بهذا الخلق سنة الحياة التي ارادها لنا ، ويكون هذا التغيير الذي يحصل فرارا من الزحف ، لان الله اراد للانسان ان يخلق عن طريق ابوين ليجرى عليه ما يجري على بني آدم - من ثواب وعقاب بعد الموت . وقد وردت مناظره بهذا الشأن على النحو التالي :

" قال ابو سليمان (٩) ، هذا : القاضي يقول ان الباري

(١) ترتيب المدارك ٤ : ٦٠٠ ، تاريخ قضاة الاندلس ٣٨ : ٤٠ .

(٢) هو ابو الحسن الاحدب متكلم جليل ، اذق (انظر طبقات المعترلة : ١٢٢)

(٣) ترتيب المدارك ٤ : ٥٩١ .

(٤) ترتيب المدارك ٤ : ٥٩١ .

(٥) ترتيب المدارك ٤ : ٥٩٢ .

(٦) سورة البقرة : ٣١ ، ترتيب المدارك ٤ : ٥٩١ .

(٧) سورة البقرة : ٢٨٦ ، ترتيب المدارك ٤ : ٥٩٢ .

(٨) ترتيب المدارك ٤ : ٥٩٥ .

(٩) هو محمد بن طاهر بن بصرام السجستاني له من الكتب : مقالة في مراتب قوى الانسان وكيفية الانذارات التي ينذر بها النفس مما يحدث في عالم الكون (انظر الفهرست لابن النديم : ٣٦٩) .

سبحانه قادر على ان يركب عشرة انفس في ذلك المركب الذي في دجلة ، فاذا وصلوا الى الجانب الاخر يكون الله قد زاد فيهم آخر فيكون احد عشر ، ويدون الحادي عشر قد خلقه الله في ذلك الوقت ، ولو قلت انا لا يقدر على ذلك ، ارحس محال ، قطبوا لسانني وقتلوني ، وان احسنوا الي كتفوني ورموني في الدجلة ، واذا كان الامر كما ذكرت لم يكن لنا ظرتي معه معني .

فالتفت الوزير الى القاضي الباقلاني وقال : ما تقول ايها القاضي ؟ فقلت : ليس كلامنا هذا هنا في قدرة الباري تعالى وهو قادر على كل شيء . . . فلا يجوز ان يخلق اليوم انسانا من غير ابيوين ، فاذا كان كذلك فقد علم الوزير ان هذا غرار من الزحف (١) .

ولما تهدأ الباقلاني للخروج الى القسطنطينية سنة ٣٧١ هجرية (٢) عرّف عليه استشارة المنجمين ، فلم يرض لان الله تعالى وحده هو القادر على ان يوئي بالبحسن والسيء ، وليس للكواكب والنجوم او للمطلوقات الاخرى من تأثير على البشر ، فقد وضع كتب المنجمين ليمعشوا بها ليس اكثر (٣) .

(٢) الارادة :

يرى الباقلاني ان معجزات الانبياء عليهم السلام ليست من ذاتهم ، وافعالهم ليست بارادتهم دون ارادة الخالق ، اذ ان المعجزات التي ظهرت على يدي المسيح ، هي بارادة الله تعالى ، كما ان المعجزات التي ظهرت على محمد هي بارادة الله . وذلك امر قد سبق الحديث عنه من قبل . فلو كان المسيح يحي الموتى ويرى الاكمة والا يرى من ذاته كما يقول الباقلاني برواية القاضي عياض - لجازان يقال : ان موسى فلق البحر ، واخرج يده

(١) ترتيب المدارك ٥٩٤: ٤ .

(٢) كان سفر الباقلاني الى القسطنطينية في عهد الخليفة الطائع لله وقبل وفاته عضد الدولة بسنة واحدة (انظر تاريخ الكامل لابن الاثير ٩: ١٦ - ١٨) .

(٣) ترتيب المدارك ٥٩٤: ٤ .

بيضاء من غير سوء من ذاته (١) ، ولما كان لا يستطيع فالله سبحانه وتعالى هو المرید
وهو المستطیع .

(٣) مسألة الرؤية :

ان مسألة الرؤية في رأى الباقلاني قائمة وتحصل بالادراك ، وقد اختلف رأيه
هذا مع ابي اسحاق النسيبي (٢) وهو معتزلي من البصرة لان مجلس عقد الدولة في
شiraz ، فأندروية الله ، اذ ان الله تعالى - في رأيه - لا يرى في الآخرة و " كل شيء يرى
بالعين . . يكون في مقابلة عين الرائي " ، فكيف سيرى الله تعالى ؟ اجاب ابو بكر :
" لا يرى بالعين " ، وانما : " يرى بالادراك الذي يحدثه الله تعالى في العين وهو
البصر " (٣) ، وقد سند الباقلاني حجته بمثل اياه على رجل اسمه الاجهر وهو اعمى :
" فلو كان يرى المرئي بالعين ، لكان يجب ان يرى بكل عين قائمة ، وقد علمنا ان الاجهر
عينه قائمة ولا يرى شيئا " (٤) .

ان تحليل الباقلاني هذا بدائي ، ليربه تحديد لعملية البصر . التي تحصل
بواسطة جهاز العين ، وليس مستبعدا ان يصدر عن الباقلاني مثل هذا التحديد ، وهو
الذي يجعل كيفية تركيب الجهاز ، والتقاط الصور ، ومن كان مثله لا بد ان تتخذ حواسه
بالاشياء الظاهرة ، فما يظهر سليما معاني قد يكون به مرض او علة ، وهذا ما حصل حين
اورد مثل الاجهر .

ورأى الباقلاني في رؤية الله بالادراك لفكرة اعلمها بعد جهل وتفكر وهو الاشعري
الذي يعتقد بان الله قادر على ان يخلق هذا الادراك في الاشياء في كل وقت وحين ،

(١) ترتيب المدارك ٥٩٦ : ٤ .

(٢) هو ابو اسحاق ابراهيم بن علي النسيبي او النسيبي اخذ على ابي عبد الله -
(انظار طبقات المعتزلة ١٢٢ ، والمنتظم ٧ ١٢٩٠ ، وانظار اخلاق الوزيرين لابي حيان ،
التوحيد : ٢١١) .

(٣) ترتيب المدارك ٥٩٣ : ٤ .

(٤) ترتيب المدارك ٥٩٣ : ٤ .

ومتى يشاء ، وبالتالي فهو قادر على ان يخلو في عين الاجرير العمياء الادراك لرؤيته
تعالى .

د) مسألة الايمان بالمعجزات :

حاول القاضي - المتكلم الباقلائي - ان يقرن العجزة بالعجزة . ويقابل الاشكال
بالاشكال "فمسألة انشقاق القمر" المذكورة سابقا قابلها بمسألة "المائدة المنزلة من
السما" فحين سئل : لماذا انحصر خبر انشقاق القمر في فئة من الناس دون فئة
ولم يظهر على مختلف الاصقاع والبقاع ، وهل يصح تصديق خبر يرد الينا كهذا ؟ ادرك
ان عليه ان يحسن تخلصه بعجزة موجهة تلزم خصمه وتفحمه .

ويتفطن الباقلائي ان ذاك الى حجة مقابلة فيسأل السائل عن خبر المائدة
المنزلة من السماء ، لماذا لم يراها اليهود والمجوس والبراهمة وغيرهم ، وهل من نسبة
بينهم وبينها ؟ (١) . في نظر الباقلائي ان الكسوف اذا حصل يراه من كان بمحاذاة
فقط ، وليس جميع اهل الارض ، وكذلك انشقاق القمر ، فقد رآه من اتفق نظره اليه في
تلك الحال ، ولم يره جميع الناس لانهم لم يكونوا على اهبة ووعده لانشقاقه .

الا ان برهان الباقلائي هذا يلزمه اجماع عليه ، ليم لنا العلم الشروري
به وقد استدرك نقده ان برهانه ، كما ان برهان المائدة المنزلة من السماء ناقص .
وليس عليه وضو المؤمن المسلم الا ان يقرب حجة الخبر المتناقل اليه في انشقاق القمر ،
كما اقر المؤمن المسيحي بصحة خبر المائدة المنزلة ، لان مسألة الانشقاق تعتمد على
الايمان اكثر من اعتمادها على البرهان ، فبهي معجزة حصلت لتصديق نبوة محمد على
الله عليه وسلم (٢) . كما حصلت معجزة المائدة لتصديق نبوة عيسى عليه السلام . وقد
ورد اليها الخبر في المعجزتين بالتواتر كما يقول الباقلائي (٣) .

(١) ترتيب المدارك ٥٩٧:٤ .

(٢) ترتيب المدارك ٥٩٧:٤ - ٥٩٨ .

(٣) لنا عودة حول مسألة المعجز في كتابي البيان واعجاز القرآن للباقلاني .

ولقد كانت اثاره طبيعة الايمان ، ومسألة التوحيد في مجلس ملك الروم - كما سماه ابن الاثير في تاريخه ^(١) - قد دغمت الفوضى والبلبلة الى البلاط ان تتفاعلا وتتفشى في الاوساط الاخرى ، مما دعا هذا المجلس ان يجمع فيما بعد على اتخاذ قرار يقضي باخراج الباقلائي وصحبه من بلادهم ، في وقت سريع خوفا من ان تغشى اراؤه بينهم فيفسد الرعية ، ويوقع الفتنة - فأجيب طلبه ، واطلق سراح عدد من اسارى المسلمين والمصاحف وعاد الباقلائي محملا بالهدايا ، وقد ارفع بحراسة من جند الملك ، حتى واصله مع مرافقيه الى ديارهم آمين ^(٢) .

ان كانت مسألة القدرة الالهية والارادة والرؤية كمنارة من قبل في مجلس
عضد الدولة ، وهذا امر لا بد منه ، فالباقلاني اينما حل كان يثير اوتثار في حضرته
مسائل كلامية ، وهو المتكلم الذي يستفتى ويسأل في امور الدين والدنيا فيعلم ويصنف
المؤلفات التي كثرت في اصول الفقه والظاهر ، وهو الذي بقي حتى آخر ايامه يجند نفسه
لكل طائفة تحصل . فيحاول دفع الفتنة عن البلاد التي سببها قرواشرين المقلد باعلانه
العصيان على القادر بالله سنة ٤٠١ هجرية ^(٣) كما مر الحديث عنه .

-
- | | |
|-----|---|
| (١) | الكامل في التاريخ ١٦٦٦ . |
| (٢) | ترتيب المدارك ٥٩٧٤ - ٦٠٠ ، تاريخ غداة الاندلس ٣٨ - ٤٠ . |
| (٣) | المنتظم ٢٤٨٧ . |

= ٣٩ =

الفصل الثالث
مؤلفات الباقلاني
=====

للباقلاني مؤلفات كثيرة ، إلا أن معظمها فقد ، ولم يصلنا منها غير العدد القليل ، وقد حقق بعضه باحثون ، وأظهروه آتيا ، وبقي بعضه مخطوطا في دور المكتبات كمكتبة الأزهر في القاهرة ، والظاهرية في دمشق . أما الكتب التي لم تصلنا فهي كثيرة جدا ، منها ما ذكر في مصدر واحد ، ومنها ما ذكر في أكثر من مصدر ، ولا تعرف عن هذه الكتب أكثر من عنوانها ، وقد يكون العنوان إشارة إلى فحوى الكتاب وقد لا يكون إلا أننا لا نستطيع أن نفعل شيئا إزاء هذه العناوين المختلفة ، سوى ترتيبها تحت مجموعات تضمها . ولربما السنين المقبلة تظهر لنا شيئا من عبارات أو إشارات أو تطمينات المخطوطات نفسها ، فقد لنا على ما رجع الباقلاني من تهانيف ، ترشدنا إلى سعة علمه وغناه في هذا الحقل من التأليف ، فالتراث العربي ، ما زال معظمه مغمورا ، وما زالت مخطوطات كثيرة لم يكشف النقاب عنها بعد لتضعنا في طور الحكم النهائي ، على نتائج كبار الكتاب ، من علماء وفلاسفة وأدباء وشعراء ، وسوف أوضح ترتيبا خاصا بكتب الباقلاني ومؤلفاته ، فالتى وهلتنا أولا ، ثم التي لم تصلنا ، ولهذا الأخيرة تقسيم خاص بحيث أن لكل مجموعة منها عنوانا .

(أ) الكتب التي وهلتنا :

كتاب التمهيد ^(١) في الرد على الملحدة ، والمعدلة والرافضة والخوارج والمعتزلة ، وكتاب سوء الآلات ^(٢) ، وكتاب البيان ^(٣) عن الفرق بين المعجزات والكرامات

(١) نشر هذا الكتاب مرتين ، في المرة الأولى حققه ونشره الدكتور محمد عبد الهادي بوريدة ، والدكتور محمد محمود الخضيرى (طبعة القاهرة ١٣٦٦ / ١٩٤٧) وقد خرجت هذه النشرة ناقصة لاعتمادها على مخطوط باريس فقط ، وهذا مما دفع فيما بعد الأب ريتشارد يوسف مكارتى اليسوعي إلى أن يبحث عن المخطوطتين التركيتين اللذين أشار إليهما الأستاذ . لموت ريتشارد حقق من جديد في فحوى كتاب التمهيد ، فوجد أن القسم الناقص يتعدى ثلث الكتاب ، فبرهن أن يتبع الأبواب التي تخص علم الكلام بمحتوى النشرة الأولى ، وأن يسقط الأبواب المتعلقة بالإمامة ، ويعتبرها مَدْخِلا لكتاب آخر هو " مناقب الأئمة " وقد أصدر الكتاب بعد تحقيقه في بيروت (١٣٧٦ / ١٩٥٧) .

(٢) هذا الكتاب صدر مع مجموعة كتب لمؤلفين آخرين (جامعة دمشق ١٩٦٦) ونشر في كتاب في التعريف للإمام عبد القاهر الجبرائي ، كتاب فيه الممدود والمقصود لآبي اسحق الزجاجي ، فصل فيه مختصر في ذكر الألقاب لآبي قاسم ابن الأنباري ما تجب معرفته على ذي الأدب من شعر العرب .

(٣) تحقيق الأب ريتشارد يوسف مكارتى اليسوعي (المكتبة الشرقية بيروت ١٩٥٧) .

والحيل والكهانة ، والسحر والتاريجات ، وكتاب اعجاز القرآن ^(١) ، وكتاب الانصاف في اسباب الخلاف ^(٢) ، وفيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به وكتاب نكت الانتصار لنقل القرآن ^(٣) .

ومن الكتب الموجودة والتي ما تزال مخطوطة في مكتبي الازهر والظاهرية ، وكتابان لم اطلع عليهما وهما : كتاب " هداية المسترشدين والمنع في اصول الدين " ^(٤) ، وكتاب " مناقب الائمة ونقصر المداعن على سلف الامة " ^(٥) .

ب) الكتب التي لم تصلنا :

من هذه الكتب التي لم تصلنا مجموعة يستدل من عناوينها على انها في علم الكلام والدفاع عن الدين ، والرد على اهل الجحد والعدناد والرد على الباطنية والمعتزلة ، والكلام في تحديد المعدوم والموجود وهي : كتاب في كيفية الاستشهاد في الرد على اهل الجحد والعدناد بما يستدني عن الترداد ^(٦) وكتاب شن اللح ^(٧) وكتاب الهداية ^(٨) وكتاب رسالة الحرة ^(٩) وكتاب

- (١) تحقيق احمد صقر (دار المعارف ، القاهرة ١٩٦٣) .
- (٢) لم يذكر القاضي عياض هذا الكتاب في " ترتيب المدارك " ، حقق هذا الكتاب محمد زاهد الكوثري (القاهرة ١٩٦٣) .
- (٣) هذا الكتاب مقيم لكتاب اعجاز القرآن ، ومختصر لكتاب " الانتصار لنقل القرآن وقد اختصره الشيخ ابو عبد الله الصيرفي ، ورتب نسخه الشيخ عبد الجليل بن ابي بكر الصابوني ، بين القرن السابع والثامن الهجري ، وصدر الكتاب عن دار المعارف بالاسكندرية وقد حققه محمد زغللول اسلام .
- (٤) في مكتبة الازهر قسم من هذا الكتاب بخط محمد بن عبد الله العدوي المتوفى بمدينة صور سنة ٤٥٦ ويشتمل المخطوط على ٢٤٨ ورق (انظر مذاهب الاسلاميين لعبد الرحمن بن عدوي : ٥٩٠) .
- (٥) ان الجزء الثاني من هذا المخطوط موجود في مكتبة دمشق العمومية - دار الكتب الظاهرية - تاريخ المخطوط وملحقاته في فهرست ليوسف الدشي صفحة ٨٤ - ٨٥ رقم ٦٦ جزء ٢ / ١٣٦٦ / ١٩٤٧ (انظر تاريخ الادب العربي لكارل بروكلمن ٤ : ٥١) .
- (٦) التمهيد : ١٨٧ (طبعة ١٩٥٧) ، ترتيب المدارك ٤ : ٢٠١ .
- (٧) البيان : ٨٨ ، ترتيب المدارك ٤ : ٦٠١ ، الشامل في اصول الدين : ١٩٢ .
- (٨) الشامل في اصول الدين : ٣٥٠ ، ٥٧٠ ، التبصير في الدين لابي مظفر الاسفرائيني : ١٧٤ ، ترتيب المدارك ٤ : ٦٠١ .
- (٩) ترتيب المدارك ٤ : ٦٠٢ ، الفصل لابي ن حزم ٤ : ٢١٦ .

دقائق الكلام^(١) ، وكتاب الرد على الباطنية^(٢) الذي سماه كشف الاسرار وعنتك الاستار
وبلان نسب هؤلاء الى امامة علي ثم الله وحيده ، وكتاب انكار النصار المتأولين وحكم
الدار^(٣) ، وكتاب تصرف العباد والفرق بين العدل والاعتساب وقد ورد في التبصير
تحت عنوان اللبس^(٤) ، وكتاب المعتزلة فيما اشتبه عليهم من تأويل القرآن^(٥) ، وكتاب
في ان المعدوم ليس بشيء^(٦) .

وهناك مجموعة من الكتب يستدل من عناوينها انها في الفقه واهوله اي انها
تدور حول شرائع الاسلام والاحكام والعدل وفرائض الدين ومختلف المسائل والمجالات
وكذلك في الامامة باختلاف ادوارها ومن هذه الكتب : كتاب التقريب والارشاد في اصول
الفقه^(٧) ، وكتاب الاحكام والعدل^(٨) ، وكتاب النقر الكبير^(٩) ، وكتاب نقر النقر^(١٠) ،
وكتاب التبصرة^(١١) ، وهذا الكتاب هو تبصرة للمسترشدين وبيان للمتوسمين كما عرفه
الباقلاني في كتاب التمهيد وفي فصل الامامة^(١٢) .

وكذلك اورد القاضي عياض مجموعة من هذه الكتب الفقهية والرسائل فـ في
"ترتيب المدارك" منها : "كتاب التمهيد والتجويز وكتاب الامامة الكبيرة والامامة الصغيرة
وكتاب الاصول الصغير ، وكتاب مسائل الاصول وكتاب امالي اجماع اهل المدينة ، وكتاب

- (١) ترتيب المدارك : ٦٠١ : ٤ ، البداية والنهاية ١١ : ٣٥٠ .
- (٢) ترتيب المدارك : ٦٠٢ : ٤ ، طبقات الشافعية للسبكي ١٩٢ : ٤ ، البداية والنهاية ١١ : ٣٥٠ .
- (٣) ترتيب المدارك : ٦٠١ : ٤ .
- (٤) ترتيب المدارك : ٦٠١ : ٤ ، التبصير في الدين : ١٧٤ .
- (٥) ترتيب المدارك : ٦٠١ : ٤ .
- (٦) ترتيب المدارك : ٦٠١ : ٤ .
- (٧) التبصير في الدين : ١٧٤ ، ترتيب المدارك : ٦٠١ : ٤ ، طبقات الشافعية ٣ : ٢٠٢ .
- (٨) الشامل في اصول الدين : ٤٧٨ ، ترتيب المدارك : ٦٠١ : ٤ .
- (٩) الشامل في اصول الدين ٥٧٠ .
- (١٠) التبصير في الدين : ١٧٤ .
- (١١) ترتيب المدارك : ٦٠٢ : ٤ ، البداية والنهاية ١١ : ٣٥٠ .
- (١٢) التمهيد (طبعة ١١٤٧) ٢٣٩ .

فضل الجهاد ، وكتاب المسائل والعباسات المنشورة وجواب اعدل فلسطين ، والبغداديات والنيسابوريات ، والجهاديات ومسائل سأل عنها ابن عبد المؤمن ، والاسجديات ، وكتاب البيان عن غرائب الدين وشرائع الاسلام ووصف ما يلزم من جرت عليه الاقلام من معرفة الاحكام ، وكتاب مختصر التقريب والارشاد الاخر ، وله الاوسط ، وكتاب على الحدود على ابي طاهر محمد بن عبد الله بن القاسم ، وكتاب المقدمات في اصول الديانات (١) . كما عدد ابن كثير في البداية والنهاية كتابين لم يشر اليهما القاضي عياض وهما : "كتاب المجاميع الثبار ، وكتاب المجاميع الصغير" (٢) .

ومن مؤلفات الباقلاني مجموعة اخبارية الدارج ، وقد شملت مادتها الاخبار عن وجود الشياطين والمتناسخين ، ونصرة بني العباس وامانتهم ، وكذلك الاخبار في الدماء وما جرى بين الصحابة ، وقد اورد القاضي عياض مجموعة منها : "كتاب على المتناسخين ، وكتاب في نهضة بني العباس وامامة نبيه ، وكتاب في الدرامات ، وكتاب الدماء التي جرت بين الصحابة رضي الله عنهم ، وكتاب في امامة بني العباس ورسالة الامير" (٣) ، وورد ايضا كتاب "الابانة عن وجود الشياطين ، وذكر الادلة على ذلك والاخبار عن معنى الذمات وما ورد في اخبارهم" (٤) .

وتحت مجموعة فن رادب يمتد ان يرتب الدارس كتابين من كتب الباقلاني وهما : كتاب شرح ادب الجدل (٥) ، وكتاب الجاحظ (٦) .

- | | |
|-----|---|
| (١) | ترتيب المدارك ٤ : ٦٠١ - ٦٠٢ . |
| (٢) | البداية والنهاية ١١ : ٣٥٠ . |
| (٣) | ترتيب المدارك ٤ : ٦٠١ - ٦٠٢ . |
| (٤) | البيان : ١٠٨ ، اعجاز القرآن للباقلاني : ٢٩٩ ، شذرات الذهب ٣ : ١٦٩ . |
| (٥) | ترتيب المدارك ٤ : ٦٠١ . |
| (٦) | ترتيب المدارك ٤ : ٦٠١ . |

= ٤٤ =

الباب الثاني

أثر البقاء

=====

بسم الله الرحمن الرحيم

ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير

سورة الحج : ٨

سورة لقمان : ٢٠

وما يعلم تأويله الا الله ...

والراسخون في العلم

وما يذكر الا اولو الالباب

سورة آل عمران : ٧

= ٤٦ =

الفصل الأول
حول كتاب البيان
=====

اولا : حول كتاب البيان :

لا شك ان كتاب البيان عن الفرق بين المعجزات ، والكرامات والحيل والكهانة والسحر والنانرجات ^(١) ، من الكتب التي صنفها الباقلاني بعد كتب الامالي والمنافع ^(٢) ، واصول الديانات ^(٣) وكتابي التمهيد وشرح اللمع ^(٤) ، وكتاب الايانة ^(٥) ، وذلك لذكر هذه الكتب جميعها في كتاب البيان .

ويعتقد الاب مكارتي ان الباقلاني ألف هذا الكتاب في اواخر حياته ^(٦) . والسلام فيه يتناول المعجز ، فالمعجز في نظر الباقلاني "آيات تدل على صدق الرسل" ^(٧) ، وقد حدد معناه والغاية من ظهوره على الانبياء دون غيرهم . ثم حاول ان يميز بين المعجز والعادة وبين المعجز والحيل والشعوذة ثم بين المعجز والسحر ، بعد ان اثبت وجود السحر والشياطين والملائكة ، فأثار بذلك مسألتين رئيسيتين : مسألة القدرة الالهية ، ومسألة الايمان .

وقد كان الكتاب غنيا ومنسقا من حيث المحتوى ، اذ عقد الباقلاني فصلا مستقلا لكل من الموضوعات التي ذكرتها عن الكتاب اعلاه ، فكان الفصل الاول : في حقيقة المعجز ومعناه وفي وجود العادة ^(٨) ، وكان الفصل الثاني : في خصائص الرسل وخصائص المعجز ^(٩) . والفصل الثالث : كان في الفرق بين المعجز والحيل والنانرجات والشعوذة ^(١٠) . واما الفصل الرابع فكان في وجود السحر والفصل بينه وبين المعجز وبين الساحر والملاك والشیطان ^(١١) . وسوف اعرض فيما يلي موقف الباقلاني من كل هذه القضايا فأحلل كلا منها على حدى وابينس لبعضها ابعادها الدلالية الرامية لاظهار فكر الباقلاني : ثم انطلق الى تبيان ما تحنيه

- (١) كتاب البيان للباقلاني تحقيق الاب مكارتي اليسوعي - المكتبة الشرقية بيروت ١٩٥٨ .
- (٢) البيان : ١٢ .
- (٣) البيان : ٦١ ، ٦٥ .
- (٤) البيان : ٨٨ .
- (٥) البيان : ١٠٨ .
- (٦) مقدمة كتاب البيان للاب مكارتي اليسوعي : ١٩ .
- (٧) البيان : ٨ .
- (٨) البيان : ٨ - ٣٦ ، ٤٥ - ٤٩ ، ٤٩ - ٥٥ .
- (٩) البيان : ٣٧ - ٤٤ ، ٦١ - ٧٠ .
- (١٠) البيان : ٥٦ - ٦٠ ، ٧١ - ٧٦ .
- (١١) البيان : ٧٧ - ١٠٨ .

بالنسبة لموقفه من القضيتين اللتين يلمرعهما وهما - كما ذكرت قبل قليل - مسألة القدرة الالهية ومسألة الايمان .

(أ) تحديد المعجز لدى الباقلاني :

يذكر الباقلاني ان اهل اللغة وصفوا آيات الرسل بالمعجز ، لاثباتهم عجز العباد عنها (١) والباقلاني يخالف اهل اللغة في تعريفهم هذا لمعنى المعجز ، اذ ان المعجز يكون في انفراد " الله عز وجل بالقدرة عليه ولا يصح دخوله تحت قدر الخلق من الملائكة والبشر والجن " (٢) ويستبران وصف اهل اللغة للمعجز وصف صحيح من حيث التسمية وخاطيء من حيث النظر والحجة فهو كمثل تأليه الاصنام وهي ليست آله لانها غير قادرة على كشف الضر والبلى (٣) .

وهذا التعريف يجب ان لا يقارن عجز الخلق او قدرتهم بقدرة الله تعالى فان قدرة الله ينفرد بها وحده كخلق البشر ، او يدخلها تحت قدرات العباد فيحصل المعجز او العمل الخارق ، وهذا امر دما البعز - كالتدريه - الى الظن ان لله قدرة خاصة به ، يعجز عنها البشر ، وان للعباد الخارقين - او المعاجزة كما يسميهم الباقلاني - قدرة اخرى تخصهم ، نحو تفريق اجزاء الجبال ، وتخفيض ماء البدار ، ونظم القرآن (٤) .

الا ان الباقلاني يقسم القدرة الالهية التي تدخل تحت قدرات العباد في قسمين :
١ - قليل معتاد لا يدل على علم فاعله وقصده ، مثل : الكلمة وكتابة الحرف والحرفيين -
يعني ، الباقلاني ، بهذا ان البطل القليلة لا تفي بالمعنى ولا تدل على مدى علم صاحبيها - ٢ - ومنها كثير غير معتاد ، يدل على علم فاعله وقصده (٥) ، مثل : نظم القرآن . ثم يميز بين الافعال التي تدخل تحت قدرات العباد ، وتسمى معجزة لمن تحصل له ويتحدى بها لخرقها العادة ، والافعال التي تخزن بشرب من الحيل والمخاريق

(١) البيان : ١٣ .

(٢) البيان : ١٧ ، ٨ .

(٣) البيان : ١٣ .

(٤) البيان : ١٤ .

(٥) البيان : ٢٣ - ٢٤ .

وهذه ايضا تدخل تحت قدرات العباد ، فانه لفر من الشرق الى الغرب والمصود الى السماء ، وحمل الجبال الراسيات ، افعال تأتي من الله تعالى تحت قدرات العباد ، ولا تتم بالسحر والشعوذة لمن تعمد له ويتحدى بها ، واذا حصل وكانت خرقا للعبادة تصبح معجزة (١) ، واما الافعال التي تتم بالسحر والشعوذة كمثل سبي الحيات ، وقد يجوز ان تخدر ثم تعود من جديد تسعى ، بعد ان يزول عنها الخدر بدواء ثان ، كما فعل سحرة فرعون ، وما يفعله ابن دابل والعلاج (٢) ، وغيرهما من حيل ومخاريق فقد يخزن احدهم حملا حيا من تنوير تاج ، او قد يدخل بيتا العظمة فيصنع عذيبا (٣) ، فاذا " اراد الانسان ان يمتحن كذبهم ، وجب ان يدفع اليهم برمة بالية ، وعظاما نخرة ويقول لهم : احيوا هذا " (٤) . فسرعان ما يكشف كذبهم ويبطل ادعائهم .

وحيث ان دنات غير نوح من انواع المعجز ، فان الباقلاني يحاول ان يفاضل بين نوحين بارزين من هذه الانواع ، فيرى ان الاعجاز في نظم القرآن وبلاغته ابلغ من اعجاز ابراء الهمري ، وقلب العصا شعبانا ، ان هذه المعجزات ، قد بداخلها الشك والشبهات ، وقد تتم بحيل ومخاريق ، كأن يكون من يظن به ميتا مخدرا بواسطة ادوية وعقاقير وخين تذهب عنه يحيا (٥) ، كذلك قد تكون مثل هذه المعجزات متأنية بالانتساب والنقل عن الغير ، بينما بلاغة القرآن " طباعة وليست بامور متسببة " (٦) ، وهي توجد في النفس ، والدليل على ذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم كان مبصوثا في قوم كانوا افسح العرب ، وابلاغهم ، واعظامهم تقدا في اللسن ، ولما عجزوا تحداهم ان يأتيوا بسورة من مثله فعجزوا ايضا ، ولم يستعاضوا ، فدعوا الى حربه (٧) .

لماذا لا يدخل المعجز تحت قدرات العباد :

يسلم الباقلاني ان ليس باستطاعة العبد ان يأتي بالاجسام ، والالوان ، والحياة لانه مخلوق من الله تعالى وهو عرضي مثلها ، والعرضي لا يخلق العرضي ولا يفعله ، والفاعل

(١) البيان : ٧٢ .

(٢) البيان : ٧٤ .

(٣) البيان : ٧٥ - ٧٦ .

(٤) البيان : ٧٤ .

(٥) البيان : ٢٦ - ٢٧ .

(٦) البيان : ٢٧ .

(٧) البيان : ٢٧ .

هو مكتسب من المخلوق سواء كان بشرا أو ملائكة أو جنات ولا يصح ان توجد افعاله الا في محال قدرته غير متجدية عنه (١) ، فلو قدر القادر منا على فعل الانسان لوجب لا محالة وجودها في نفسه وحيزه ، مما يوجب اجتماع الجسمين والاجسام الكثيرة في حيز واحد وهذا محال . كما انه محال ان يقدر القادر منا على فعل عمر في غيره فيوجد العمر في محلين ، ومحال ايضا ان توجد الذات الواحدة في حيزين ، والا فانه اذا حصل يصح الجوهر الواحد الذي لا ينقسم في حيزين وهذا محال ، لان الجوهر لا يتجزأ ولذلك لا يقدر القادر منا على فعل عمر في غير محل قدرته . وعلى هذا يبطل الباقلاني القول بالتولد . وهذه قدرة اعتزالية . وتكون المخلوق فاعلا في غير محال قدرته (٢) .

وقد خرج الباقلاني من هذا كله الى نتيجة واحدة كان بدا يريد على بعض المعتبرة من القدرية . فالعباد لا يقدر على الابداع والاختراع (٣) لان قدرتهم مخلوقة فيهم من الله تعالى ، وهي تختلف عن قدرة الله المبدعة المخترعة باستمرار ، ولو صح ما يدعيه هؤلاء القدرية من قدرة العباد على الابداع ، لوجب ان يكون العبد القادر على الخلق محدثا للاعراض من الاكوان والملم والارادات ، وان يكون قادرا على احداث سائر الاجناس من الجواهر والالوان ، والحياة ، والاسماع ، والابصار ، وسائر الادراكات ، مما لا يمكن له ان يفعل على الدوام ، كما برهن الباقلاني ، فلو امتنع حدوث جنس من الاجناس ، لامتنع حدوث سائر الاجناس . هذا من جهة العباد . بينما لا تنحصر قدرة الله تعالى في احداث جنس دون جنس فهو قادر على احداث سائر الاجناس من الجواهر والالوان (٤) .

(ب) المعجز والعادة :

ومن صفة الاعجاز ان يكون خارقا للعادة التي يحددها الباقلاني " بتكرار علم العالم ووجوه الشيء المعتاد على طريقة واحدة " وذلك " اما بتجدد صفة وتكررها او ببقاء علم على

(١) البيان : ٦٤ - ٦٥ .

(٢) البيان : ٦٤ .

(٣) البيان : ٦٦ - ٦٧ .

(٤) البيان : ٦٧ .

حالة واحدة " (١) ، ففلان مثلا من عادته اعداء السلام والطعام والطعام ، وحمايــــــــــــة
 الجار (٢) ويصفه الباقلاني " المعتاد على الشيء " هو كل من تتكرر وتتجدد علومه للشيء
 حالا بعد حال وجوده (٣) . ولا يجوز ان ينزول القديم تعالى حاملا هذا الوصف
 لتعالينه عن الالفة ، والنفور ، والتعجب ، والاستطراف (٤) ، لهذا ينفي وصف القديم
 " بالاعتیاد " فلا يقول انه تعالى معتاد على فعل كذا وكذا ، فهذا القول - في نظره -
 يستعمل لمن تتكرر علومه وتتجدد ، والقديم في غنى عن التكرار والتجدد ، ولهذا
 قسم الباقلاني العادة الى ضربين : ما يستوى فيها جميع الناس ، وجميع اهل
 عمر واحد . وعادة ينفرد بها بعض الناس دون بعض ، او تكون لاثبات عقود من غيرهم ،
 ومنها عادة للملائكة فقط واخرى للجن فقط . وثالثة للانس (٥) ، ومن صفات هذه الادات
 ان لا يخرق بعضها بعضا ، وينفرد بعضها البعض ، ولا تتساوى مع بعضها الا بقـــــدرة
 الله تعالى وذلك اذا اراد ان يدل على صدق الرسل بمعجز يخرق عادة البشر
 " كاحياء الميت او قلب العصا حية " (٦) ، قاله " ان ارسل بشرا ، ارسله بما يخرق عادة
 البشر ، وان ارسل جنيا اظهر على يده ما هو خارق لعادة الجن " (٧) .

ج (المعجز والانبيا والرسل :

ان الباقلاني استطاع ان يميز دوام العادة عن انخراطها ، فحين تنخرق بمعجز
 يحوّل بقدرة الله تعالى على يد احد رسله ، يستطيع ذلك الرسول ان يدعو الناس الى
 تصديقه ، كما فعل عيسى لدى احياء الميت ، وموسى لدى قلب العصا حية ، فيدعــــى
 الرسالة على الله تعالى ، ويخبر عن وحيه له (٨) ، فهدوا السفير بين الله وبين خلقه لان المعجز
 كما عرفناه سابقا آيات تظاير على النبي يتحدى بها ، فتكون حجة له على غيره من المدعين
 الاذبيــــــــــــن (٩) .

- (١) البيان : ٥٠ .
- (٢) البيان : ٥٠ .
- (٣) البيان : ٥١ .
- (٤) البيان : ٥٢ .
- (٥) البيان : ٥٢ .
- (٦) البيان : ٥٥ .
- (٧) البيان : ٥٥ .
- (٨) البيان : ٣٧ .
- (٩) البيان : ٤٦ .

وحين يدعي النبي الرسالة على الله تعالى ، ويخبر عنه وعن وحده ، ينبغي سفيرا بينه وبين خلقه - لذلك يقتضي بتدوير الايات على يديه ليبين صدقه من ادعاء غيره وكذبه (١) ، ويرى الباقلاني ان الرسول يكون اما : ١ - مجددا لشريعة وناسخا لما قبلها ، ٢ - او مقرا لبعضها وناسخا لبعض - ٣ - واما ان يكون مرسل ارسله الله بالدعاء الى شريعة من قبله ، يحضر العباد على فعلها ويرغبهم في التمسك بها من غير ان يكون مستأنفا لشريعة تخالف ما سلفه ، ٤ - او مرسل بفرض التوحيد والنبوة فقط من غير ان يلزم بفرض العبادات الشرعية . فالملاة والاحكام والسجود ، والاقضية - ٥ - او يدور داعيا الى شريعة غيره من الرسل السابقين له كدارد سليمان ، وموسى وهارون ، ولوط وابراهيم - ٦ - او داعيا الى شريعته بعد موت النبي المتقدم وانقراضه (٢) .

ويرفض الباقلاني دعوة القدرية (٣) في ان يكون المكلف مستخنيا بدفعه عن رسول يدعو الى التوحيد ، لا اعتقاده ان فرض التوحيد والنبوة بمنزلة فرض الصيام والحج ، بينما تعتقد القدرية ان ليس من ضرورة في ارسال الرسل لفرض التوحيد والنبوة فقط ، اذا لم يفرض الرسول ايضا الصلاة والصيام والحج على المكلفين ويلزمهم بالعبادات الشرعية ويكلفهم بها . فالعقل عند هؤلاء القدرية يستدل على الله من ذاته بلا واسطة ، بينما في اعتقاد الباقلاني لا يجوز ان تلزم عبادة وتترتب فريضة ويلزم تكليف من جهة العقل ، بل ذلك كله ثابت من جهة السمع المحض ، لان كل الاحكام الثابتة لافعال المكلفين ثابتة من جهة الشرع وليست من جهة العقل ، وقد ورد هذا من قبل الله عز وجل ، بلا واسطة ولا ترجمان بالمخاطبة رأسا كما خاطب محمد وموسى عليهما السلام وكما يخاطب الملائكة (٤) فالانبياء " سواء ارسلوا بفرض التوحيد والنبوة فقط ، او جاءوا بذلك ، وتقدير الفرائض والعبادات ، كل هذا صحيح على ما قدمناه " (٥) . يقول الله تعالى : ﴿ وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ﴾ (٦) ، وقال تعالى ﴿ كلما القي فيها نوح سألهم خزنتها الم يأتكم نذير ﴾ (٧) .

(١) البيان : ٣٧ - ٣٩ .

(٢) البيان : ٣٩ .

(٣) البيان : ٤٠ .

(٤) البيان : ٤١ .

(٥) البيان : ٤٤ .

(٦) سورة الاسراء : ١٥ ، البيان : ٤١ .

(٧) سورة الملئ : ٨ ، البيان : ٤١ .

(د) المعجز والحيل والشعوذة :

يتساءل الباقلاني كيف يتم لنا تمديد الرسل وفي العالم عدد من المشعوذين والمحتالين كالحلاج ^(١) ، وابن دلال ^(٢) ، وكيف يتم لنا تمييز ظهور المعجز على أيدي الرسل دون هؤلاء ، ويجب الباقلاني عن هذا التساؤل فيقول ^(٣) ، ان المعجز لا يتم بحيلة محتال ، وان اختيار المعجزات لا يقوم بها الا الصادق من الرسل ، فيحيي الميت ويبرئ الاكمة والابرم ، وهذه الافعال لا تتم من الرسول الا بغرق العادة من قدرة يخلقها الله فيه ، فلو كان يصح اكتساب العباد لهذه المعجزات بضرب من الحيلة ، لكان اهل الصنعة اقدر على الفعل من غيرهم ، فأغلاطون وسقراط وقراط اقدر في الحيل والتمارة ، وفي اختراع ضرب من الحيل ^(٤) .

والحيلة في تعريف الباقلاني " تتم في فعل ما يمكن دخوله تحت قدر المبدأ دون ما يستحيل " ^(٥) ، فيخلق المحتال لنفسه سمعا وبصرا . اما المعجز " فيمتنع تمام وقوعه من العباد بحيلة من الحيل " ^(٦) .

ويعترف الباقلاني بوجود السحر ^(٧) ، ان ليس من سبيل لانتاره واجداله ، ويرى ان الشاهد المؤكد لوجوده هو القرآن الذي خبر به . فالسحر عنده في انواع منها :
١ - التخيل والتمثيل ^(٨) ، بالآلات المصروفة ، كما فعل سحره فرعون في تخيل الحيات

(١) هو الحسين بن منصور ابرع علي البغدادي المتوفى المشهور الذي قتل لتطرفه في تهوفه سنة ٣٠٩ ببغداد ، انظر تاريخ بغداد ٨ : ١١١ - ١٤١ .
(٢) هو ابو نصر احمد بن دلال بن وصيف له افعال عجيبة " هكذا عرفه الاب مدارتي في فصل " تعليقات اضافية " من كتاب البيان للباقلاني صفحة ١١٤ ناقلا ترجمته عن طبعة فليكل صفحة ٣١٠ .

(٣) البيان : ٥٦ .
(٤) البيان : ٥٩ .
(٥) البيان : ٥٨ .
(٦) البيان : ٥٨ .
(٧) البيان : ٨٤ .
(٨) البيان : ٧٧ .

خلافاً للقدرية القائلة بأن الخير من الله والشر من الإنسان يضر نفسه بنفسه ، فشر يعتبر
مع الاشعرية ان الخير والشر كله من الله تعالى (١) .

لقد اثبت الباقلاني في كتابي التمهيد وشي اللع (٢) ، فكرة ان المحدث لا يمكن ان يكون
فاعلاً ، لانه محدث من آخر . والاخر هذا هو الله تعالى ، فمن يكون محدثاً لا يمكن ان يأتي
بافعال دائمة لانها الى زوال وهي افعال عرضية - وهذا ما سبب الحديث عنه - واذا اثبت
الباقلاني ذلك استنتج ان الذي يفعله الساحر " انما هي مقدرات له توجد في نفسه ومحل
قدرته ، وقد يكون كلام يحفظه - واكوان يفعلها في جوارحه ، واعراض لا تتعداه " (٣) فيفعل
الله تعالى السقم في الصحيح ، والموت في المسحور وذلك عندما ينطق الساحر بما يحفظه
فيظن انه قتل بسحره وهذا باطل لان المحدث ، سواء كان بشراً او ملكاً او ساعراً او شيطاناً
لا يستطيع ان يفعل في غيره شيئاً لان افعاله لا تتعدى محل قدرته ، فالافعال من الله وتحدث
يجري العادة عندما يفعل الساحر بنفسه الحالات التي يظهر بها السحر ، من اقوال وافعال ،
(ف) فيتعلمون منهما ما يفرقون بين المرء وزوجه ، وما هم بضارين به من احد باذن الله (٤) ، (٥) ،
لذلك لا يستطيع الساحران يحيي الميت ، ويقلب الجماد حيواناً ويبرأ الاكمة والابرس ، اما مسحوره
على خيط ، وطيرانه في الفضاء فأيضاً يدور من فعل الله سبحانه ، يفعله عند السحر ، كما يفعل
في ان يميت المسحور او يسقمه ، فالسحر في رأي الباقلاني ليس بشيء غير ما هو تخيل وايدهام
لنون الشيء على غير ما هو به بضرب من الخفة والشفوذة (٦) .

ويرى الباقلاني ان من حق المعجز ان لا يدور معجزاً اذا اشترك فيه الساحر والنبى ، قال المعجز
من فعل الله في النبي يتعدى به فلا احد يأتي بمثله واما الساحر المتنبى اذا فعل فعلاً من
عند الله فقد يأتي من يشارده فعله ، او قد ينسبه الله طريقة صنع السحر فيبدل عمله (٧) . " او لم
يفعل سبحانه عند قوله ، وما يفعله في نفسه شيئاً في المسحور من موت او سقم او بخس ، ولم يخلق

(١) البيان : ٨٢ .

(٢) البيان : ٨٨ .

(٣) البيان : ٨٨ .

(٤) سورة البقرة : ١٠٢ .

(٥) البيان : ٨٩ .

(٦) البيان : ٩١ - ٩٢ .

(٧) البيان : ٩٧ ، ١٠٥ .

المتنسبة من الله تعالى - ٢ - ومسألة الايمان بوجود الانبياء والرسل وظهور المعجز على ايديهم واثباته بعد تحدى الناس لهم ، وذلك بيجري العادة .

اما بالنسبة للمسألة الاولى فان الباقلاني يرى ان القدرة الالهية ينفرد بها الله وحده دون الخلق ، فيخلق ، ويكون ما يشاء ، او قد تخلف العبد حين يشعها الله تعالى تحت قدرته فيعتقد ما خاضعة له كما فعل القدرة . الا ان افعال العباد محدثة وغير ناتجة عنهم لانهم محدثون مثلها ، والعرض لا يخلق العرض ، وبذلك يبطل القول - بالتولد - واستحالة كون المخلوق فاعلا في غير محل قدرته ^(١) فاثار بالتالي مسألة التكليف وامتحان العبد ورد بها على القدرة .

وبرهان الباقلاني للقدرة الالهية برهان اظهر منه " المعجز " الذي خصص له معظم كتاب البيان فاثار مسألة الايمان بدعوة الانبياء والرسل لاطاعة الخالق ، فتناول بالتالي الكلام في المعجز عامة وميزه عن السحر والحيل والشعوذة . ورفع دعوة القدرة في ان لا يجوز بعث نبي الى فرد التوحيد واعتقاده فقد انمسألة الايمان بوجود الانبياء والرسل مسألة اخرى اثارها الباقلاني في هذا الكتاب ورد على القدرة بقوله تعالى ^(٢) وما كنا معذبين ، حتى نبعث رسولا ^(٣) اذ قد يدعو الرسول الى آله واحد دون ان يلزم العباد بالصلاة والصيام وغير ذلك من الاحكام والدقود الشرعية .

ولربما كان فكر الباقلاني في هذا الكتاب تمهيدا لكتاب آخر الفه فيما بعد وهو كتاب اعجاز القرآن ^(٤) ، فكان الكتابين كتاب واحد في جزأين : الاول يتناول الكلام في المعجز وظهوره بقدرة الله تعالى على الانبياء والرسل ، ثم تمييز المعجز عن السحر والشعوذة ، والثاني يتناول تحديدا : الكلام في اعجاز القرآن بخاضعة من حيث ظاهوره على الرسول محمد صلى الله عليه وسلم ، وهو النبي الامي ، ومن حيث اخباره بالغييب بأسلوب فاراساليب العرب كافة ، فكان القرآن دليلا معجزا على صدق دعوته ، وعلى كونه رسلا من الله تعالى .

(١) البيان : ٦٥ .

(٢) سورة الاسراء : ١٥ ، البيان : ٤١ .

(٣) انظر مقدمة الآب مكراتي لكتاب البيان للباقلاني صفحة ١٢ ، ومقدمة احمد صقر لكتاب اعجاز القرآن للباقلاني صفحة ٦٤ .

= ٥٨ =

الفصل الثاني
حول كتاب اعجاز القرآن

=====

ثانيا : حول اعجاز القرآن :

بدأ البحث في اعجاز القرآن في حدود القرن الثالث الهجري ، وان اقدم كتاب ظهرت فيه كلمة "معجز" لمحمد زيد الوسيدي المتوفى سنة ٣٠٦ هجري (١) ، ثم توالى البحوث بعد ذلك (٢) ، فكانت حول البناء اللغوي للقرآن ، وحول ترتيبه الدقيق لما يحوي من معجزاته الاستعارة ، والصور البلاغية المختلفة ، ثم ان بعد القرن الثامن الهجري اصبح تعبير الاعجاز مرادفا لعلم البيان (٣) .

ومن الاسباب التي دعت الى عدم الخوض في اعجاز القرآن قبل القرن الثالث الهجري ، وعدم نقدا لسلوب القرآن هو القول "بالصرف" - وهذه فكرة اعتزالية - فقد اعتمد البعض على ان القرآن الكريم معجز لصرف الهمم عن مبارزته . فالخطابي - وهو اديب لنسب محدث يذكر في رسالته "بيان اعجاز القرآن" ان النبي صلى الله عليه وسلم بقي يطالب قومه ليأتوا بمثل القرآن "مدة عشرين سنة مظهرا لهم النكير ، زاريا على اديانهم مسغيا آراءهم واحلامهم ، حتى نابذوه ، ونابذوه العرب ٠٠٠ وقد كان فيهم الخطباء المتفان والشعراء المفلتون" (٤) . وحين جعل التحدي وظهور رجز العرب عن الاتيان بمثل القرآن ، اذعنوا واعتقدوا "ان الذي سمعوه فائق للقول البشرية" كما يقول عبد القاهر الجرجاني في رسالته (٥) الشافية في الاعجاز .

(١) مقال ج ١٠ . غرونيم - مادة اعجاز ٣ : ١٠٤٤ في الموسوعة الاسلامية النسخة الفرنسية طبعة ١٩٦٠ .

(٢) لعلي بن عيسى الرمانى المتوفى ٣٨٦ هـ ، ولمحمد بن ابراهيم الدنلايى البستي المتوفى ٣٨٨ هـ ، ثم بحث للباقلاني المتوفى ٤٠٣ هـ ، وقد اثري بحثه هذا على من بعده من اللامعة - مثل عبد القاهر الجرجاني المتوفى ٤٧١ هـ ، وفخر الدين الرازى المتوفى ٦٠٦ هـ (انظر الموسوعة الاسلامية : ١٠٤٤) .

(٣) الموسوعة الاسلامية : ١٠٤٦ .

(٤) ثلاث رسائل في اعجاز القرآن : ١٩ .

(٥) ثلاث رسائل في اعجاز القرآن : ١٠٧ .

وقد تطور البحث في المعجز فيما بعد فأنتج للنقد الادبي والبالغة الشيء الكثير
وإن التحليل النبوي^(١) ، الذي أجراه الباقلاني على الآية القرآنية في كتابه اعجاز
القرآن^(٢) جزءاً من بحث حول أسلوب القرآن ووجوه البلاغة فيه ، ثم بيان اسباب اعجازه
ومناجاةه على النبي الامي .

وقد اتبعت التقسيم التالي في بنية كتاب اعجاز القرآن للباقلاني فراهته يقع في بابين :
الباب الاول يتضمن ثلثة فصول ، في الفصل الاول^(٣) ، يعتمد الباقلاني على الدلائل
التي تشير الى اعجاز القرآن وبالتالي الى نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ، وفي الفصل
الثاني^(٤) ، يستعرض الباقلاني مقارنة بناء الجملة في اللغة العربية ، وبناء الآية فـ في
السورة القرآنية ، ويوضح من خلال ذلك دور كل من الحروف في اللغة العربية سواء كانت
مفردة او مجموعة ، وذلك لتمييز نظم القرآن وعجيب تأليفه . اما في الفصل الثالث^(٥) يحاول
الباقلاني ان يشرح الآية القرآنية لشمولها على دلالة او دلالات واللمة في مفهومه هي وحدة
تعبيرية مؤلفة ، في مفهومها ومعناها . اما الباب الثاني من الكتاب فيحوى فصلين :
في الفصل الاول^(٦) ، يقيم الباقلاني موازنة بين أسلوب القرآن وشعر اشعر العرب ، وابلغ
بلخائهم من كلام منشور ليظهر اعجاز القرآن وما يتضمن من البديع . ويأتي بابيات شعرية
من قصائد مختلفة اهمها واولها استشهاداً قصيدة امرئ القيس "قنابك"^(٧) ، وقصيدة
البحتري "اهلاً بذكر الاديال المقبل"^(٨) ، والباقلاني باستعراضه هذا ينفي الشعر عن
القرآن الكريم ، وينفي ان يكون كلامه يشبه كلام الخطاب والرسائل ، ويشبه الكلام المنشور

(١) بحث حول تركيب الآية القرآنية بعنوان "طريقة الباقلاني في اظهار اعجاز القرآن الكريم"
وقد أجريته مؤخراً د . انجليكا نويفرت ، وهو يطبع الآن في كتاب "دراسات عربية واسلامية"
تحرير الدكتور واداد القاضي . وسيصدر عن الجامعة الاميركية في بيروت هذا العام - بحث
حول اعجاز القرآن وتناوله ثم اثره في البلاغة العربية قامه الدكتور عمر الملا حويتر بخداد ١٩٧٢ ،
وبحث في الاعجاز البياني للقرآن قامت به الدكتورة عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ) دار
المعارف بمصر ١٩٧١ .

(٢) اعجاز القرآن للباقلاني ، تحقيق احمد مقرر ، دار المعارف بمصر ١٩٦٣ .

(٣) اعجاز القرآن : ٨ - ٣٥ ، ٢٨٨ - ٣٠٥ .

(٤) اعجاز القرآن : ٣٦ - ٦٥ ، ١١٨ - ١٢٠ .

(٥) اعجاز القرآن : ١٨٦ - ٢١٠ .

(٦) اعجاز القرآن : ١٢٩ - ١٨٤ ، ٢١١ - ٢٤٨ .

(٧) اعجاز القرآن : ١٥٦ .

(٨) اعجاز القرآن : ٢١٩ .

فالقرآن معجز لا اختلاف اسلوبه عندها جميعها . اما في الفصل الثاني (١) ، فقد اقام الباقلاني موازنة " لوجه " البلاغة في القرآن وشعر العرب ، وكلام فصحاءهم . ولسوف آتي بالذام فـ في كل فصل على حدى ، فأبدأ بالمسألة الاثر اهمية وروضا في هذا الكتاب ، وهي مسألة معجزة القرآن الالهية .

أ) القرآن معجزة الالهية :

يعتبر الباقلاني ان القرآن الكريم ان معجزا بقدرة الله تعالى ، التي تعدت قدرة العباد فلم يأتوا بمثله ، ويقول في مقدمة (٢) كتاب الاعجاز ان من قائل يقول ان القرآن " سحر " وقائل يقول " انه شعر " واخر " انه من اساطير الاولين " وقائلون يقولون " لو نشأ لقلنا مثل هذا " . ويذكر ان الجاحظ صنف كتابا (٣) في مخرج الاعجاز ، لم يزد فيه على ما قال المتكلمون قبله شيئا . وقد يقصد من المتكلمين على بن عيسى الرمانى = المعتزلى - لانه في مكان آخر من هذا الكتاب يقول : " ان من قدر ان البلاغة في عشرة اوجه من الذام ، لا يدرك من البلاغة الا القليل . ولا يظن منها الا اليسير " (٤) وكان الرمانى قد اشار في رسالة الى ان البلاغة في عشرة وجوه فقط (٥) .

ويعتقد الباقلاني ان للقرآن اسلوب خاص به ، يختلف عن اساليب الكلام المعتاد ، فالذام البديع المنظم يتقيد بآفاق كثيرة ، منها ما ينقسم الى اغانى من الشعر على اختلاف انواعه - او الى انواع من الذام الموزون غير المتقن - او الى اصناف من الكلام المعدل السجع او الى كلام معدل موزون غير مسجع - وكلام يرسل ارسالا ، الا ان القرآن مابين لهذه الطرق جميعها

(١) اعجاز القرآن : ٦٦ - ١٢٨ ، ٢٦٢ - ٢٨٢ .

(٢) اعجاز القرآن : ٤ .

(٣) اعجاز القرآن : ٦ والجاحظ اشهر من ان يدرك (١٥٠ - ٢٥٠) .

(٤) اعجاز القرآن : ٣٠٠ .

(٥) ثلاث رسائل في اعجاز القرآن : ٦٩ .

فيديو ليس من باب السج ولا من قبيل الشعر^(١) ، فالقرآن فيه من الفصاحة والخرابة . والتصريف
البدعي والفوائد الذرية الشيء الكثير^(٢) ، قال الله تعالى ﴿الله نزل احسن الحديث
كتابا متشابها ، مثاني تقشعر منه جلود الذين يعشرونهم . ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى
ذات الله﴾^(٣) .

ومن عجيب نظام القرآن يقول الباقلاني انه لا يتفاوت في اسلوبه ولا يتباين ، وقد رأينا الاعجاز
في الايات الاولى والقصيرة ، ويأتي الباقلاني بقوله في عن حديثه ان من الشعراء من يهود في
نوع واحد من الشعر ، ومن الناصب من يهود في الكلام المرسل بينما يقصر في التعبير بيت واحد من
الشعر ، اما القرآن فهو على اختلاف فنونه ترى المختلف فيه كالمؤتلف والمتباين كالمتناسب
فالبحتري مثلا ، اتفق عليه اهل اللغة وقالوا انه يقصر في الضرب من النسيب الى المديح^(٤) ، اما
نظام القرآن فهو بليغ بحديث خرج عن عادة كلام البين ، وعادة كلام الانبياء قل لكن اجتمعت الانس
والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ، ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا^(٥) ، فأسلوب
القرآن يتراوح بين البسط والاقتدار والجمع والتفريق ، والاستعارة والتصريح ، والتجوز والتحقيق^(٦) ،
فهو سهل وممتنع ، يتعد عن الوحشي من الكلام ، وعن الغريب من اللفظ وعن الصنع^(٧) .
المتكلف^(٧) .

والقرآن ارسله الله تعالى ﴿كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون﴾^(٨) . ونسأله من
آيات الله . تدل على قدرة الخالق بخلاف العادة وظهوره معجزا^(٩) . وقد قسم الباقلاني
الايات الالهية - ويعني بها المعجزات - اما مبشرة وتكون دليلا في دار التكليف على قدرته
تعالى وعلى نبوة من ظهرت على يده . واما تكون موعدة منذرة ، فاذا حملت ارتفع التكليف بموجب
الولاء ﴿فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا﴾^(١٠) .

- (١) اعجاز القرآن : ٣٦ .
 - (٢) اعجاز القرآن : ٣٦ .
 - (٣) سورة الزمر : ٢٣ ، اعجاز القرآن : ٣٦ .
 - (٤) اعجاز القرآن : ٣٨ .
 - (٥) سورة الاسراء : ٨٨ ، اعجاز القرآن : ٣٨ .
 - (٦) اعجاز القرآن : ٤٢ .
 - (٧) اعجاز القرآن : ٤٥ .
 - (٨) سورة فصلت : ٣ ، اعجاز القرآن : ١٢ .
 - (٩) اعجاز القرآن : ١١ .
 - (١٠) سورة غافر : ٨٥ ، اعجاز القرآن : ١١ .
- ... / ...

ويعني الباقلاني بكتاب الله : القرآن المتلو والمرسوم في المصاحف جاء به النبي ، وتلاه على من في عصره ٢٣ سنة وتحداهم ان يأتوا بمثله فمجزوا (١) ، وقد كانوا على " ما هم عليه " من الذرابة والسلاقة والمعرفة بوجوده الفصاحة (٢) فحين ظهر له " نرسهم احتجاجوا عليه بكلام سابق ، وخطبة متقدمة ، ورسالة سالفة ، ونظام بديع " (٣) ، ولو فعلوا لكان نقل الينا بالتواتر كما نقل الينا شعر الجاهلية ونظام الفصحاء والحكماء من العرب .

ويعتقد الباقلاني ان التعدى لم يحصل حين حصل لاثبات اعجاز القرآن وحسب بل هو ثابت انما حصل التعدى لاقامة الحجة وادلائها رويده البرهان على ان القرآن معجزا للكافة . وما يؤكده هذه الفكرة ، ان النبي دعا الافراد الى الاسلام ، وقد احتج عليهم بالقرآن ، فهو لم يلزمهم في تصديق ما جاء به من دعوة ولم يجبرهم على ان يتبعوه تقليدا له ، فالسابقون الاولون غيبي الاسلام لم يقلدوا النبي ، بل دخلوا في دينه على بصيرة ووعي (٤) .

ويعتمد الباقلاني على طريقة الاستدلال الذاتي والاختيار النفسي لمعرفة اماكن الاعجاز في القرآن فالمتناهي في الفصاحة حين سمع كلام القرآن عرفه معجزا ، لانه عرف من حال نفسه عجزه عنه وبالتالي عرف حال غيره العاجز ، ثم ان استقرار العادة دليل آخر للفصحي الذي يعلم عجز نفسه ، ولا يعلم عجز غيره عن نظام القرآن " ان ليس في العادة مثل للقران ، يجوز ان يعلم قدرة احد من البلغاء عليه . فاذا لم يكن لذلك مثل في العادة وعرف هذا الناظر ، جميع اساليب الكلام وانواع الخطاب ووجد القرآن مائنا لما علم خروجه عن العادة " (٥) . فاخترنا موسى ليد ببيضاء من جبينه عمل خرج عن العادات (٦) .

والمعجز في اعتقاد الباقلاني لا يكون بالقليل المعتاد ، فليس كل من ينظم ربح بيت من الشعر يصبح شاعرا . ولا كل من ينطق كلمة فصيحة يصبح قادرا على نظم الخطب والرسائل (٧) ، وقد اظهر الباقلاني فكرته هذه كاملة في كتاب البيان (٨) - وهو الكتاب الذي جعلناه جزءا اولاً

(١) اعجاز القرآن : ١٦ .

(٢) اعجاز القرآن : ٢٢ .

(٣) اعجاز القرآن : ٢٤ .

(٤) اعجاز القرآن : ٢٥ .

(٥) اعجاز القرآن : ٢٦ .

(٦) اعجاز القرآن : ٢٦ .

(٧) اعجاز القرآن : ٢٩ .

(٨) البيان : ٢٣ - ٢٩ .

لهذا الكتاب فالاعجاز في نظم القرآن وبلاغته ، ولو لم يكن القرآن معجزا من جهة نظمه الممتنع
لكان ابلغ في الاعجوبة وافصح .

ويرد الباقلاني على القائلين "بالصرفة" - وهي فكرة اعتزالية - اريد بها صرف الالهام
عن الاشتغال بأسلوب القرآن واظهاره معجزا ، لاعتقادهم انه معجز من غير برهان عيني مما
دام العقل هو الدليل ، فعاد الباقلاني الى البرهان العقلي يستعمله حجة مقابلة يرد بها
على المعتزلة فيقول : لو كانت هذه الفكرة مقبولة لكان القرآن مسلم باعجازه لعجيب وجوده . ولكننا
نستغني عن انزاله على النظم البديع الذي نراه ، فاحل الجاهلية لم يكونوا تبلمهم "مصرفيين"
عما كان يعدل به من الفصاحة^(١) ، "ولما لم يوجد في كلام من قبله مثله علم ان ما ادعاه
القائل بالصرفة ظاهر البطلان"^(٢) ، ويفسر الباقلاني الصرفة "بالنسخ" فاذا قلنا "بالصرفة" لم
يعد كلام القرآن معجزا . فلم يعد يتضمن فضيلة على غيره^(٣) ، فيصبح النسخ هو المعجز ونسدا
ما اراد بطلانه .

ثم يأتي الباقلاني بمقارنة بين القرآن والكتب الاخرى سواء كانت تحدث عن اخبار الانبياء
او كانت لفلاسفة ومؤلفين فمهي جميعها لا تناهي القرآن . فكلام التوراة والانجيل ، والمصحف
الاولى ليس معجزا من ناحية النظم والتأليف وانما هو معجز فيما يتصل من الاخبار عن الغيوب^(٤)
واما كتاب "ماني" وكتاب "زردشت" - وهما من اهل التثنية - ليسا بمعجزين ، ففي كتاب ماني
غروب من الشعوذة والنيروجات وليس فيه حكما جديدة^(٥) بل حكمة متداولة على الالسنه وهي
شائعة بين الامم . ثم ان ابن المقفع بعد ان اشتغل بكتاب عارض فيه القرآن عاد ومزق ما جمع
من هذا الكتاب ، واما كتابه "الدرة" في الحكم فهو منسوخ من كتاب بزرجمهر في الحكمة - وهذا
على حد رأي الباقلاني واما المؤلفات في الجزء والطفرة فهي ليست بمستوى القرآن الابدع منها
والاغرب^(٦) ، ويلجأ الباقلاني غالبا في اثبات حجته الى الآيات القرآنية ليؤيد فكرته التي

(١) اعجاز القرآن : ٢٩ .

(٢) اعجاز القرآن : ٢٩ .

(٣) اعجاز القرآن : ٣٠ .

(٤) اعجاز القرآن : ٣١ .

(٥) اعجاز القرآن : ٣٢ .

(٦) اعجاز القرآن : ٣٠ .

يثبت فيها تفوق القرآن على كل مؤلف ~~أنه~~ فكر وقدر ، فقتل كيف قدر ، ثم نذر ، ثم عبس وسمر ، ثم ادبر واستكبر ، فقال ان هذا الاسحر يؤثره ان هذا الا قول البشر ~~(١)~~ .

وهكذا يستنتج الباقلاني ان اندماش العرب عند ظهور القرآن دليل على عجزهم الذي ظهر بعد طول تفريح وتحد من النبي صلى الله عليه وسلم ^(٢) ، فالله تعالى وفقهم الى نظم الشعر فأجادوا ووضعوا الاوزان والقوافي في حد محدود ، لعلمه انه سيجعل القرآن معجزا ، وهو قادر على ان ينظم مثله بهيئة اخرى تزيد في الفصاحة ، ويكون ابلغ وابدع ، اما العباد فهم غير قادرين لان قدرتهم متناهية محدودة ^(٣) ، فكدبوا رسولهم ~~كذبت~~ قبلهم قوم نوح والاحزاب ممن بعدهم ، وهمت كل امة برسولهم ليأخذوه زجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق ~~(٤)~~ . فماذا كان مسيرهم ~~فأخذتهم~~ فكيف كان عقابهم ^(٥) فالباقلاني يعتقد ان الله اراد لمن كذبوا العذاب ~~وكذلك~~ حقت كلمة ربك على الذين كفروا انهم اصحاب النار ^(٦) ، رانه كافا المؤمنين فعظم شأنهم (الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ، ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلا وقدم عذاب الجحيم) ^(٧) .

لماذا القرآن معجزة آليّة :

ان القرآن اتى بمشيئة الله تعالى ~~بلسان عربي مبين~~ ^(٨) . وقد ابدى الباقلاني اعبابه بنظامه الذي فاق كل نظام فجز عنه اهل الفصاحة من العرب كما عجز عنه اهل العجم والتورك ، فالاعجمي لم يكن يعلم ان القرآن معجز الا بعد ان علم عجز العرب عنه ^(٩) . وقد ظهر القرآن المعجز على النبي الامي الذي لم يكن يحسن القراءة والكتابة قال تعالى ~~وما انت تتلو من قبله~~ ولا تخذه بيمينك اذا لارتاب المبطلون ^(١٠) ، فذكر قصص الانبياء والملوك ، وحدث باخبار الغيوب ~~وكذلك~~ نصرف الآيات وليقولوا درست ^(١١) قاله تعالى ~~ارسل رسوله بالهدى ودين~~

- (١) سورة المدثر : ١٨ - ٢٥ ، اعجاز القرآن : ٣٠ .
- (٢) اعجاز القرآن : ٢٨٨ - ٢٨٩ .
- (٣) اعجاز القرآن : ٢٨٨ .
- (٤) سورة غافر : ٥ ، اعجاز القرآن : ١٩٧ .
- (٥) سورة غافر : ٥ ، اعجاز القرآن : ١٩٨ .
- (٦) سورة غافر : ٦ ، اعجاز القرآن : ١٩٧ .
- (٧) سورة غافر : ٧ ، اعجاز القرآن : ١٩٨ .
- (٨) سورة الشعراء : ١٩٥ ، اعجاز القرآن : ٣١ ، ١٩٦ .
- (٩) اعجاز القرآن : ٢٥ .
- (١٠) سورة العنكبوت : ٤٨ ، اعجاز القرآن : ٣٤ .
- (١١) سورة الانعام : ١٠٥ ، اعجاز القرآن : ٣٤ .

الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ^(١) ، ويأتي الباقلاني بمثل صادق في الاخبار عن الشيوب يقول وقد انتصر المسلمون على النصارى وصدق الله وعده فحشرهم وكسرهم ^(٢) قل للذين كفروا ستعذبون وتحتشرون الى جهنم وعمر المهاد ^(٣) ، وحق النصر . وفتحوا حتى آخر ايام عمر - الخليفة الراشد الثاني - بلاد ما بين النهرين فدخلوا على ملوك فارس وروما ارمينية ، وباب الابواب ، ودخلوا الشام ، والاردن ، وفلسطين ، وفسطاط مصر ^(٤) .

(ب) نقد المبني :

(١) بين الابيات الشعرية والايات القرآنية :

ينفي الباقلاني الشعر عن القرآن بناء على تحديد بحر صناع العريية من ان الشعر ، ما كان اكثر من بيت واحد الشعر بيتان فصاعدا ، والبيت الواحد لا يكون شعرا ^(٥) ويأتي على لسان بعضهم الآخر في تحديد الشعر باربعة ابيات فصاعدا تكون على وزن واحد ، وقافية واحدة ^(٦) ، واما البيتان المختلفان في الوزن والمتفقان في القافية او العكس ليسا شعرا ، ويقول الباقلاني ان صناع العريية لم يعتبروا الرجز شعرا اصلا ، فكيف اذا كانت ابيات الشعر مشطورة او منبوكة ^(٧) ، ثم انه ليس كل من قال جملة موزونة يكون شاعرا ، ويكون كلامه مكتسب عفة الشعر ، لان الشعر لا يحصل الا من قاصد اليه ^(٨) ، ومتى يفتلج الروي يخرج عن ان يكون شعرا ، كما انه ليس كل من يأتي بكلام بليغ منمق منظوم يعتبر شعرا ^(٩) ، فالداعي قد يقول لصاحبه " اغلق الباب واعتني بالطعام " ، وهذا النوع من البرهان لا ينطبق على القرآن ، كما ان تعريف الشعر لا ينطبق عليه ، فمثل هذا البرهان قياسي ، وينطبق على الشعر والكلمات الموزونة بينما القرآن نزل الوحي والنبى صلى الله عليه وسلم لا يصرف الشعر وقد نزل الله تعالى على ذلك بقوله ^(١٠) وما علمناه الشعر وما ينبغي له ^(١١) ، وان وردت بعض الايات التي قد تشبه على البعض فيقولون : انها على نسق الابيات الشعرية ، كما فعل ابو نواس وغيره . وقد حاولوا ادخالها في قصائد هم . الا انهم كثيرا ما زادوا وانقصوا فيها . قال تعالى ^(١٢) ارايت الذي يكذب بالدين ، فذلك الذي يدع اليتيم ^(١٣) ، ادخلها ابو نواس في

- (١) سورة التوبة : ٣٣ ، اعجاز القرآن : ٣٣ .
- (٢) سورة آل عمران : ١٢ ، اعجاز القرآن : ٣٤ .
- (٣) اعجاز القرآن : ٣٣ .
- (٤) اعجاز القرآن : ٥٣ .
- (٥) اعجاز القرآن : ٥٥ .
- (٦) اعجاز القرآن : ٥٤ .
- (٧) اعجاز القرآن : ٥٤ .
- (٨) اعجاز القرآن : ٥٦ .
- (٩) سورة يس : ٦٩ ، اعجاز القرآن : ٥١ .
- (١٠) سورة الماعون : ١ - ٢ ، اعجاز القرآن : ٥٢ .

شعره فانقر حرف اللام من "فذلك" راعبحت "فذا" :

والدوى يصدع الفؤاد السقيما
ن فذاك الذى يدع اليتيما^(١) .

"وقرأ معلنا ليصدع قلبى
ارأيت الذى يكذب بالهدى

(٢) نفي السجع عن القرآن :

والباقلائي ينفي السجع عن القرآن كما نفاه اصحابه من الاشعرية ، وخاضعة شيخهم ابو الحسن^(٢) . "فلو كان القرآن سجعاً لكان غير خالص عن اساليب كلامهم ، ولو كان داخل فبدا لم يقع بذلك اعجاز"^(٣) ، والباقلائي لا يألف السجع ، بل يراه مذموماً لما يخالف كلام الكدان من العرب ، ويحبذ على نفيه من القرآن لشدة ضرره اكثر من نفي الشعر ، لان "الدهانة" في اعتباره "تنافي النبوات" بينما الشعر ليس له تأثير مضر بالاسلام كالدهانة .

ويميز الباقلائي كلام السجع عن كلام القرآن : فالسجع هو ما يتبع المعنى فيه اللفظ ، بينما كلام القرآن ليس كذلك ، اذ وجد ان اللفظ يتبع المعنى^(٤) . ويجزم الباقلائي ان ليس في القرآن سجعاً ، لان للسجع طرق خاضعة "وان ما يدعونه سجعاً هو متقارب الفؤاد ، متداني المقاطع ، ومعضها مما يمتد حتى يتضاعف طوله عليه ، وترد الفاعلة على ذلك الوزن الاول بعد كلام كثير وهذا في السجع غير مفرغ ولا مضمود"^(٥) .

(٣) الحروف العربية بين اللثة والقرآن :

يدش الباقلائي من عجب نظام القرآن ومن ابتداء بعض السور ، بالحروف وعدد ما اربعة عشر حرفاً مرددة في ثنائي وعشرين سورة — بينما عدد حروف اللغة العربية تسع وعشرون حرفاً^(٦) . والاحرف المبتدأة في السور الثماني والعشرين تكون في الغالب ثلاثية ، وليس من احرف رابعة الا في سورتين ، وكذلك احرف خماسية في سورتين فقط^(٧) . واما السور التي ابتدأت بحرف فقد اختلف

- (١) اعجاز القرآن : ٥٢ .
- (٢) اعجاز القرآن : ٥٧ .
- (٣) اعجاز القرآن : ٥٧ .
- (٤) اعجاز القرآن : ٥٨ .
- (٥) اعجاز القرآن : ٥٩ .
- (٦) اعجاز القرآن : ٤٤ .
- (٧) اعجاز القرآن : ١١٨ .

فيه ، فبعضهم جعله فعلا او اسما لشيء خاص وبعضهم جعله حرفا لتحقيق الحروف في مفرد هــا
وجمعها وهذا الحرف هو الحرف الباقي والزائد عن التقسيم بين حروف اللغة وحروف السور ، وهو
الحرف التاسع والعشرين في عدد حروف اللغة العربية . (١)

وقد اهتم الباقلائي بتركيب اللغة العربية التي تميز عن غيرها من لغات العجم والترك لا اعتداليا
في الوضع (٢) ، وهذا ما يسمى بغلسفة تركيب الكلمة بحسب الحروف ، وهو برهان منفصل عن الحروف
الواردة في اول بعض السور . ويرى ان اكثر كلمات اللغة العربية تبنى من الثلاثي المعتدل لصفته
الحركية المميزة عن الثنائي والرباعي والخماسي . فالثنائي يمتاز بصفة حركية اقل تؤدى الى التكرار
كما يؤدى الرباعي والخماسي الى كثرة الكلمات (٣) .

ويذكر الباقلائي ان نصف التقسيمات المختلفة لحروف العربية يدخل في السور القرآنية ، دون
ان يشير الى اى من هذه الحروف تحديدا . فالهموسة مثلا عشرة احرف خمسة منها تدخل في
السور القرآنية وهذه الخمسة غير محددة لا نصف ايضا التي يشير اليها ، وكذلك نصف بالنسبة
للحروف الاخرى ، وسوف اذكرها لاشير الى العدد الخاص بالسور القرآنية كما اشير الى العدد
الخاص باللغة العربية .

(أ) تقسم الحروف العربية في قسمين : حروف هموسة واخرى مجهولة وعدد الهموسة عشرة هي :
التاء ، والهاء ، والحاء ، والذاء ، والسين ، والشين ، والصاد ، والغاء ، والياء ، ونهـ هــهـ
الحروف الهموسة والمجهولة ، يدخل في ارائل سور القرآن الثماني والعشرين .

(ب) وتقسم الحروف العربية ايضا في حروف حلقية وحروف غير حلقية ، وعدد الحروف الحلقية ستة
هي : الهمزة ، والحاء ، والذاء ، والعين ، والغين ، والياء ، ونصف هذه الحروف الحلقية وغير الحلقية
تشتغل عليها الحروف المثبتة في ارائل السور .

(١) اعجاز القرآن : ١١٨ - ١١٩ .

(٢) اعجاز القرآن : ١١٨ .

(٣) اعجاز القرآن : ١١٨ .

(ج) وكذلك تنقسم الحروف العربية في حروف شديدة ، وحروف غير شديدة وعدد الحروف الشديدة ثمانية : الهمزة ، والباء ، والجيم ، والذال ، والطاء ، والظاء ، والقاف ، والكاف ، ونصفها من حروف شديدة وغير شديدة يذكر في أوائل السور .

(د) وفي العربية ايضاً حروف مطابقة وعدد ها اربعة هي : الصاد ، والضاد ، والطاء ، والظاء ، ونصف هذه الحروف مبدوء به في أوائل السور التي تبدأ بالاحرف . وقد عقب الباقلاني ان تقسيم هذه الحروف على هذا النحو هو دليل اعجاز حمل من الله تعالى تأييداً وثبوتاً لنبوة محمد صلى الله عليه وسلم (١) .

(٤) شمول الآية القرآنية على كلمة او اكثر :

حاول الباقلاني لاثبات اعجاز القرآن ، ان يتبع طريقة في تقسيم الايات القرآنية فراهها تنقسم في قسمين ، احدهما : ما يتم بنفسه ، او بنفسه زفاهلته ، وهذا تقسيم ففرى ينتبه اليه الدارس مصرفاً اياه بالفقرة لتمامه بنفسه واحتوائه على اكثر من آية . وثانيهما : ان الآية قد تشتمل على "كلمتين" و "كلمات" وهذا ما يسمى عند الدارس بالتقسيم الجملي لاحتواء الآية على جملة فأكثر . والكلمة في تحديد الباقلاني وحدة تعبيرية مؤلفة فيما بينها ، وقائمة بذاتها ، وقد تكون جملة او شبه جملة او جار ومجرور (٢) ومن الملاحظ ان الباقلاني في تحديده الثاني لم يتبع ترتيباً نعرفه اليوم بحيث يراعي دقة في التحديد وهذا ، وهو شمول الآية على "كلمتين" او "كلمات" ، ولم يقل بشمولها على "كلمة" او "كلمات" او على "كلمة" فأكثر .

ولما لم يأت الباقلاني على كلام في آية المشتملة على كلمة واحدة كما في قوله ~~تنزيل~~ تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم (٣) . مما لم يشر اليها تفصيلاً بل اورد ها في جملة الكلام المؤتلف كقوله ~~بحم~~ حم . تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم ، غافر الذنب وقابل التوب ، شديد العقاب ، ذي الطول لا اله الا هو اليه المصير (٤) . وقد يكون اتى على هذا لشرح المعنى ، كما فعل

(١) اعجاز القرآن : ٤٤ - ٤٥ .

(٢) اعجاز القرآن : ٢٠٥ .

(٣) سورة غافر : ٢ ، اعجاز القرآن : ١٩٧ .

(٤) سورة غافر : ١ - ٣ ، اعجاز القرآن : ١٩٧ .

لتشريع المبنى ، الا انه لم يعرف في تشريعه : اذا دقة ، لربما كان همه اظهار المعجز الآلهي
فدان فلما اكتشف جديدا نقله دون ان يراعي الفصل والترتيب ، فينتقل من المعنى الى المبنى
والعكس ، فقد كان يعقب باستمرار بمثل هذا القول : " هل يحسن احد ان يأتي بمثل هذا . . .
وان ينظم مثل هذا النظم ، وان يجد مثل هذه الندائر السابقة ، ويصادف مثل هذه الكلمات
المتقدمة ؟ " ثم يقول : " ولولا كراهة الاملال ، لجئت الى ذلك فحصل فاستقرت على الترتيب كلماته
وبينت لك ما في ذلك واحدة منها من البراعة وعجيب البلاغة " (١) .

ومن كلمات الآية الواحدة ، ما هو مؤلف فيما بينها ، وقد ظهرت قدرة الخالق وعظمته
بالباق مليح وايجاز لطيف ، فان كل كلمة منها تصلح ان تكون موضوعا لرسالة ، او خطبة ، او لقصيدة
او فقرة (٢) . قال تعالى ﴿ فالتى الاسباح ، وجعل الليل سنا والشمس والقمر حسبانا ذلك تعد ير
العزير العليم ﴾ (٣) .

وقد يكون من الكلمات ما تامل الواحدة الاخرى ، وان كانت كل منها في آية منفردة عن الآية
الثانية كما في هاتين الآيتين ﴿ . . . وانك لتهدى الى صراط مستقيم ﴾ (٤) ﴿ صراط الله الذى
له ما فى السماوات وما فى الارض ﴾ (٥) ، الا ان الباقلاني لم يشر اليهما متباعدتين في آيتين بل
اشار اليهما مجتمعتين في آية واحدة وقد ذكرهما على هذا النحو ﴿ وانك لتهدى الى صراط مستقيم ،
صراط الله الذى له ما فى السماوات وما فى الارض . الا الى الله تصير الامور ﴾ (٦) . ولربما
اختلط الامر عليه ، فاعتبرهما آية واحدة ، فتابع تفصيله فيما تحويه كلمات الآية القرآنية من مميزات
مؤلفة او مختلفة ، فقد اورد مثلا كلمتين مختلفتين في آية واحدة معتبرا الفقرة المذكورة واحدة ،
الا ان الدارس لفكرة الباقلاني المتبعة في هذا التقسيم . ولترتيب الآيات القرآنية في سورة الشورى
يستطيع ان يعيد الى الآية كلمتها التي انتزعت منها ، فتستقل عن الاخرى ، وتصبح الايتان متجاورتين
كما حصل في اعادة كلمة ﴿ . . . وانك لتهدى الى صراط مستقيم ﴾ الى الآية ٥٢ من سورة الشورى
فاستقلت بذاتها الآية التي تليها ، وباتت كلمتها غير المؤلفتين لانفصالهما عن بعضهما وتباينهما ،

- (١) اعجاز القرآن : ١٩٦ .
- (٢) اعجاز القرآن : ١٨٨ .
- (٣) سورة الانعام : ٩٦ ، اعجاز القرآن : ١٨٨ .
- (٤) سورة الشورى : ٥٢ ، اعجاز القرآن : ١٨٧ .
- (٥) سورة الشورى : ٥٣ ، اعجاز القرآن : ١٨٧ .
- (٦) سورة الشورى : ٥٣ ، اعجاز القرآن : ١٨٧ .

الا ان شريف النظم ، وهذا تعبير باقلائي - جمع بينها ، فصارت اشد ائتلافا من الكلام المؤلف (١)
~~صراط الله الذي له ما في السماوات وما في الارض . الا الى الله تصير الامور~~ (٢) .

وقد تشتمل الآية الواحدة على اكثر من كلمة ~~ان~~ فرعون علا في الارض . وبجعل الله
 شيئا ، يستضعف لائفة منهم ، ويذبح ابناؤهم ، ويستحي نساءهم ، انه كان من المفسدين (٣) .
 هذه الكلمات الست تشتمل على جملة وتفصيل ، فتجمع حيث يكون الجمع وتفسر حيث يكون التفسير
 ان فرعون علا واستكبر على بني الانسان ثم جار وظلم الخلق ، فاستضعفهم وذبح اولادهم وسبأ
 نساءهم فقد كان من القوم المفسدين (٤) .

رقد تكون الآية خمس كلمات متباعدة في وقتها الا ان النظم البديع جعلها اشد ائتلافا
 من الاشياء المتألفة واحسن توافقا من المتماثل في وضعه ، كقوله : ~~وابتغ فيما آتاك الله الدار~~
 الآخرة ، ولا تنس نصيبك من الدنيا ، واحسن كما احسن الله اليك ، ولا تبغ الفساد في الارض .
 ان الله لا يحب المفسدين (٥) .

ومن الكلمات ما تكون مفردة بغوامضها ومنها ما يتضمن فاتحة ، وفاعلة ومنها ما هي فاتحة
 وواسطة وفاعلة (٦) . كقوله : ~~وانه لتنزيل رب العالمين~~ ، نزل به الروح الامين . على قلبك لتكون
 من المنذرين بلسان عربي مبين (٧) . كما ان من الايات ما تجمع في كلماتها من شريف المعنى
 وحسن الفاتحة والخاتمة وهي من الكلام المؤلف كقوله تعالى ~~رحم~~ . تنزيل الكتاب من الله
 العزيز العليم . غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب . ذي الطول لا اله الا هو اليه
 المصير (٨) . فان لفطنت ، فانظر الى ما قال من رد عجز الطلاب الى صدره بقوله : ~~فأخذتهم~~
 فكيف كان عقاب (٩) .

-
- | | |
|-----|---|
| (١) | اعجاز القرآن : ١٨٧ . |
| (٢) | سورة الشورى : ٥٣ . |
| (٣) | سورة القصص : ٤ ، اعجاز القرآن : ١٩٣ . |
| (٤) | اعجاز القرآن : ١٩٣ . |
| (٥) | سورة القصص : ٧٧ ، اعجاز القرآن : ١٩٤ . |
| (٦) | اعجاز القرآن : ١٩٦ . |
| (٧) | سورة الشعراء : ١٩٢ - ١٩٥ ، اعجاز القرآن : ١٩٦ . |
| (٨) | سورة غافر : ١ - ٣ ، اعجاز القرآن : ١٩٧ . |
| (٩) | سورة غافر : ٥ ، اعجاز القرآن : ١٩٨ . |
- ... / ...

ويصف الباقلائي كلمات القرآن معجبا "فانه اذا رآها الانسان في رسالة نانت عينها . . .
فهي كالياقوتة التي تكون فريدة الحقد . . . ولست اقول هذا في آية دون آية وسورة دون سورة
وفصل دون فصل" (١) . ويأتي على تبيان عجيب نظم الكلام المفصل ، وعظيم موقعه ، فقد تكون
الكلمة الواحدة فصلا ~~ربنا~~ وسعدت كل شيء رحمة ، ~~وعلمنا~~ (٢) ، ما التلام المفصول عند الباقلائي
هو الكلام المميز في المعنى عما سبق ومنه والمنسوب الى ما تقدم قال تعالى ~~اذبت قبلهم~~
قوم نون والاحزاب من بعدهم وهمت دل امة برسولهم ليأخذوه ، وجادلوا بالباطل ليدحضوا به
الحق . فأخذتهم فكيف كان عقاب ~~هم~~ (٣) وقد يدون في الفقرة الواحدة المؤلف من آيتين ستة فصول ،
ففي الآية التي وردت اربعة فصول ، كما ان في الآية التي تليها فصلا ~~وذلك~~ حقت كلمة ربك
على الذين كفروا انهم اصحاب النار (٤) .

ومن الدلائل ما تشير الى قصة كاملة ، ففي سورة النمل يبين ان القرآن من عند الله ~~وانك~~
لتلقي القرآن من لدن حكيم عليم ~~هم~~ (٥) وقصة موسى وقد رأى نارا فقال لا اله الا انت انت
نارا ساتيك منها بخبر ارايتكم بشرباب قيسر لعلمكم تصطلون ~~هم~~ (٦) .

ويبين الباقلائي بعض الايات التي وردت في الاحكام ومنها في الحلال والحرام كقوله ~~يسألونك~~
ماذا احل لهم ؟ قل احل لكم الدييات وما علمتم من البهوان مكلمين تعلمون من ما علمكم الله ، فقلوا
ما امسكن عليكم . واذكروا اسم الله عليه ، راتقوا الله ، ان الله سريع الحساب ~~هم~~ (٧) . وكذلك
يذكر ان من الايات ما وردت في الموازين كالايات الثلاث دون ان يشير اليها في كتابه وهذه
الايات وردت في سورة النساء (٨) . ثم يعود الى آيات التوحيد واثبات النبوة وقد ابتداء به
فصله هذا قال تعالى ~~وذلك~~ ونذله اوحينا اليك روحا من امرنا ، ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان
ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا ، وانك لتهدي الى صراط مستقيم ~~هم~~ (٩) . وقوله :

- (١) اعجاز القرآن : ٢٠٠ .
- (٢) سورة غافر : ٧ ، اعجاز القرآن : ١٩٨ .
- (٣) سورة غافر : ٥ ، اعجاز القرآن : ١٩٧ .
- (٤) سورة غافر : ٦ ، اعجاز القرآن : ١٩٧ .
- (٥) سورة النمل : ٦ ، اعجاز القرآن : ١٨٦ .
- (٦) سورة النمل : ٧ ، اعجاز القرآن : ١٨٩ .
- (٧) سورة المائدة : ٤ ، اعجاز القرآن : ٢٠٠ .
- (٨) سورة النساء : ١٠ - ١١ ، ١٧٥ .
- (٩) سورة الشورى : ٥٢ ، اعجاز القرآن : ١٨٦ .

هو الحي لا آله الا هو فادعوه مخلصين له الدين ، الحمد لله رب العالمين ^(١) ، وكقوله في النبوة تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا ، الذي له ملك السماوات والارض ولم يتخذ ولدا ، ولم يكن له شريك في الملك ، وخلق كل شيء فقدره تقديرا ^(٢) .

ويعتبر الباقلاني ان اعجاز القرآن ليس في البراعة وابانة الفصاحة بقدر ما هو في المعنى وترتيبه ، ففي القرآن من الكلام المخلق والاشارات الكثيرة منها ، واذا بلغ الكلام من هذا القبيل ملبنا ربما زاد الفهم فيه على الايضاح او ساوى مواقع التفسير والشئ مع استيفائه شروطه ^(٣) . وذلك كقوله سبحانه الذي اسرى بعبد له ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا ، انه هو السميع البصير ^(٤) . ثم لم يخل تضاعيف الكلام - على حد قول الباقلاني - مما ترى من الموعظة على اعجاب تدريج كقوله : ان احسنتم احسنتم لانفسكم وان اسأتم فلنا ^(٥) .

(٥) بديع الكلام دلالة على اعجاز القرآن :

يتعبر الباقلاني لاسلوب القرآن ويخرج ما استطاع ما يتضمنه من بديع الكلام ، فالالفاظ الفصيحة ، والكلمات الجامعة الحكيمة هي من البديع الذي يستعمل عادة في البيان ، قال تعالى : ^(٦) ولکم فی القصص حیاة

واما البديع في كلام الرسول والسحابة ، وفي شعر فحول الشعراء ، امثال امرئ القيس والناخبة وزهير بن ابي سلمى ، والفزدق والاضحاك ، فهو بديع لا يوازي بديع القرآن الا بلسان والاغصان . وقد عاين الباقلاني ان يجمع مختلف وجوه البديع ^(٧) ويأتي بامثلة من القرآن الكريم ليؤيد بديع نظامه : في التشبيه ، والاستعارة والنداء والافعال والمماثلة ، والمداابقة ، والتجنيس

- (١) سورة غافر : ٦٥ ، اعجاز القرآن : ٢٠١ .
- (٢) سورة الفرقان : ١ - ٢ ، اعجاز القرآن : ٢٠١ .
- (٣) اعجاز القرآن : ٢٠٩ .
- (٤) سورة الاسراء : ١ ، اعجاز القرآن : ٢٠٩ .
- (٥) سورة الاسراء : ٧ ، اعجاز القرآن : ٢١٠ .
- (٦) سورة البقرة : ١٧٩ ، اعجاز القرآن : ٦٦ .
- (٧) اعجاز القرآن : ٦٦ .

والمقابلة ، والموازنة ، والاشارة ، والتوشيح ، والتقسيم ، والتكميل ، والتميم ، والترصيع ، والالتفات ، والتذليل ، والاستعارة ، والتكرار ، والاستثناء ، والتعطف ، والتناوؤ ، والسلب والایجاب (١) .

وفي وجوه البلاغة ايضا وقد ذكرها في مكان اخر من الكتاب (٢) ، وجمع منها : الایجاز ، والتلازم . والفواصل ، والتضمين ، والمبالغة ، والبيان (٣) . واعدى امثلة من شعر العرب وخطابهم وما كتبوه في فنون الكلام وديع القول وليفه محاولا ان يظهر بلاغة القرآن المعجزة . ولستوف آتي على امثال اختارها الباقلائي من القرآن ، ومن مختلف شعر شعراء العرب وبلاغة بلنائهم في اقوال مذكورة لهم . الا اني اتبعا للمنهى الذي فرضه الباقلائي على الكتاب وللمنهى الذي اتبعته في بيان طريقته في اظهار القرآن معجزا آليا ، سوف اضح الامثلة البلاغية التي اختارها الباقلائي من القرآن في المتن ، واضع الامثلة الاخرى من شعر وحكم وكلام في الحاشية .

يقول الباقلائي ان من وجوه البديع : " التشبيه " الحسن في قوله تعالى : ﴿ وله الجوار المنشآت في البحر كالأعلام ﴾ (٤) (٥) : " الاستعارة " وهي كثيرة في القرآن كقوله : ﴿ وانه لذكر لك ولقومك ﴾ (٦) ، (٧) . واما " الخلو والافراد " في الصفحة ، فمن البديع ايضا وقد ورد في القرآن منه اقوله تعالى : ﴿ يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد ﴾ (٨) ، (٩) . ومن البديع

- (١) اعجاز القرآن : ٦٦ - ١١٠ .
- (٢) اعجاز القرآن : ٢٦٢ .
- (٣) اعجاز القرآن : ٢٦٢ - ٢٨٧ .
- (٤) سورة الرحمن : ٢٤ ، اعجاز القرآن : ٧٣ .
- (٥) وفي شعر امرئ القيس من التشبيه الحسن كقوله :
" كان عيون الوحش حول خبائنا وارحلنا الجزع الذي لم يثقب " (انظر اعجاز القرآن : ٧٢) .
- (٦) سورة الزخرف : ٤٤ ، اعجاز القرآن : ٧٧ .
- (٧) للنايعة استعارة بليغة في قوله : " فانك كالليل الذي هو مدركي " . وان خلت ان المنشأ عنك واسع " يريد بقوله هذا ان سلطان النعمان كالليل يصل الى كل مكان : (انظر اعجاز القرآن : ٧٥) .
- (٨) سورة ق : ٣٠ ، اعجاز القرآن : ٧٨ .
- (٩) يقول عنتره :

فازور من وقع القنا بلبانه

وشكا الي بعيرة وتضمخ

(انظر اعجاز القرآن : ٧٧) .

"المِثَالَةُ" وهو ضرب من الاستعارة ، والمِثَالَةُ مِثَالَةٌ على اليجاز والجمع . كقولـــــــــــــــــه
 تعالى : ﴿فَمَا أَصْبَرْتُمْ عَلَى النَّارِ﴾ (١) ، (٢) . ومن البديع "المِثَالَةُ" في الكلام
 يأتي المعنى فيه بذكر الشيء كالليل والنهار . والسواد والبياض كقوله ﴿يَخْرُجُ السَّيِّ
 من الميت ، ويخرج الميت من الحي﴾ (٣) ، (٤) . ويعني "التجسيم" ان تأتي بكلمتين
 متجانستين ، ومن الجناس ان تكون الكلمة تجانس الاخرى في تأليف حروفها ومعناها
 قال تعالى : ﴿فَأَقْمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقِيمِ﴾ (٥) ، (٦) . "والمقابلة" من البديع
 ايضا . وتعني المقابلة التوفيق بين معان ونظائرها ، وبين المضاد وضده ، قال تعالى :
 ﴿ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجَاوَرُونَ﴾ . ثم اذا كشف الضر عنكم اذا فريق منكم
 يشركون﴾ (٧) ، (٨) . وكذلك "الموازنة" من البديع كقوله ﴿وَالسَّمَاءُ ذَاتُ الْبُرُوجِ وَالْيَوْمِ
 الْمَوْعُودِ وَشَاهِدٌ وَمُشْرُودٌ﴾ (٩) ، (١٠) . "والاشارة" وهي اشتغال اللفظ القليل على
 المعاني الكثيرة قال تعالى : ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كَلِمَ
 به الموتى بل لله الامر جميعا﴾ (١١) ، (١٢) . واما "التوشيح" ان يشهد اول الكلام

- (١) سورة البقرة : ١٧٥ ، اعجاز القرآن : ٨٠ .
- (٢) وتفسير كلام القرآن المنشور : ان يزيد بن الوليد بلغه ان مروان بن محمد
 يتلوا عن بيعته فكتب اليه : "اما بعد ، فاني اراك تقدم رجلا وتؤخر اخرى ، فاعتمد على
 ايت ما شئت" . (انظر اعجاز القرآن : ٧٨)
- (٣) سورة الروم : ١٩ ، اعجاز القرآن : ٨٠ .
- (٤) قال الفرزدق : والشيب ينقض في الشباب كأنه
 ليل يصيح بجانبه نهار " (انظر اعجاز

- القرآن : ٨٢)
- (٥) سورة الروم : ٤٣ ، اعجاز القرآن : ٨٣ .
- (٦) قال النبي صلى الله عليه : "لا يكون ذو الوجهين وجيها عند الله" وقال معاوية
 لابن عباس : مالكم يا بني هاشم تصابون في ابصاركم ؟ فقال : كما تصابون في بصائركم
 فذا الكلام من الجناس . (انظر اعجاز القرآن : ٨٤)
- (٧) سورة النحل : ٥٣ - ٥٤ ، اعجاز القرآن : ٨٨ .
- (٨) وفي معنى المقابلة قال النابغة الجعدي :
 فتى ثم فيه ما يسر صديقـــــــــــــــــه
 على ان فيه ما يسوء الاعادي " (انظر اعجاز
- القرآن : ٨٨)
- (٩) سورة البروج : ١ - ٢ - ٣ ، اعجاز القرآن : ٨٩ .
- (١٠) والموازنة في قول بعضهم : اصبر على ضر اللقاء ومض النزال وشدة المصاع " (انظر
 اعجاز القرآن : ٨٨)
- (١١) سورة الرعد : ٣١ ، اعجاز القرآن : ٩١ .
- (١٢) كقول طرفة : فليل لها يوم لذيذ بنعمة
 فقل في مقيل نحمسه متغيب " (انظر اعجاز

في آخره وآخره في أوله فمن تاب من بعد ظلمه وأصلح فإن الله يتوب عليه ، إن الله غفور رحيم (١) ، (٢) . ومن التوشيح أيضا "عجز الكلام على صدره" كقول الله عز وجل : انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا (٣) . كما أن "التقسيم الصحيح" من البديع قال تعالى ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولِيَاءُ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (٤) (٥) وإذا أتى بالمعنى الذي بدأ به بجميع المعاني المصححة المصنعة لصحته المكملة لبعده من غير أن يغفل ببعضها ، ولا أن ينادر شيئا من أيسر "التكميل والتيسير" كقول الله عز وجل : ان الله عنده علم الساعة ، ثم قال ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ غَبِيرٌ﴾ (٦) ، (٧) . وأما "الترصيع" فيكون على ألوان : منه الترصيع مع التجنيس قال تعالى ﴿وَالطُّورُ وَكِتَابٌ مُسْتُورٌ﴾ (٨) (٩) كذلك "العكس والتبديل" يدخل أيضا في باب البلاغة كقوله ﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّارِ وَيُوجِلُ النَّارَ فِي اللَّيْلِ﴾ (١٠) (١١) ، وكذلك من "البديع" "الالتفات" وهو اعتراض في الكلام ، ينتهي من الكلام ثم يرجع إليه قال تعالى ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ غَيْرُ

-
- (١) سورة المائدة : ٣٩ ، اعجاز القرآن : ٩٢ .
 (٢) والتوشيح في قول البعثرى : فليس الذي حللته بمعلل وليس الذي حرره بحرام انظر اعجاز القرآن : ٩٢ .
 (٣) سورة الاسراء : ٢١ ، اعجاز القرآن : ٩٣ .
 (٤) سورة البقرة : ٢٥٧ ، اعجاز القرآن : ٩٤ .
 (٥) والتقسيم الصحيح ينظر في شعر بعض العرب كقول نصيب : فقال فريق القوم لا ، وفريقهم نعم وفريقى قال : ويحك ما ندرى . انظر اعجاز القرآن : ٩٤ .
 (٦) سورة لقمان : ٣٤ ، اعجاز القرآن : ٩٥ .
 (٧) من صور التيسير والتكميل في الشعر العربي صورة لنافع بن خليفة : رجال اذا لم يقبلوا الحق منهم ويعطوه عاد وبالسيوف القواطع انظر اعجاز القرآن : ٩٥ .
 (٨) سورة النور : ١ - ٢ ، اعجاز القرآن : ٩٦ .
 (٩) في الترصيع قول لابن الرومي : ابدانهم وما ابدان من الزمير حريـر ارد ان وما سسسـن من العبير معا عبير انظر اعجاز القرآن : ٩٧ .
 (١٠) سورة الحج : ٦١ ، اعجاز القرآن : ٩٩ .
 (١١) قال الحسن على نحو العكس والتبديل : "ان من عوفك لتأمن غير ممن امك" . . . / . . .

لكم ان كنتم تعملون ، انما تعبدون من دون الله اوثانا وتخلقون افكا (١) ، (٢) .

ومن البديع ما يسمى "التذليل" مثل قوله ان فرعون علا في الارض وجعل لاهل اشيما يستضعف طائفة منهم يذبح ابناءهم ويستحي نساءهم ، انه كان من المفسدين ويريد ان يمن على الذين استضعفوا في الارض ، وجعل لهم ائمة وجعلهم الوارثين (٣) قوله كانوا عاظمين (٤) ، (٥) . ومن باب البديع ما يسمى "الاستطراد" ويكثر نظيره في القرآن كقوله (٦) اولم يروا الى ما خلق الله من شيء يتفوهوا بظلاله عن اليقين والشمائل سجدا لله وهم داحرون ولله يسجد ما في السماوات وما في الارض من دابة ، والملائكة وهم لا يستكبرون (٧) ، (٨) . ويكثر "التكرار" في القرآن وهو من البديع ايضا قال تعالى : فان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا (٩) ، (١٠) .

ومن وجوه البلاغة ايضا : الایجاز والتشبيه والاستعارة ، والفواصل ، والتجانس والتصريف والتضمين ، والبالغة وحسن البيان (١١) ، وقد رد الباقلاني على الذين صنفوا البلاغة ، وقسموها الى عشرة اقسام (١٢) با مثله لها من القرآن الكريم . "فلا يـبـاز" ينقسم

== لتخاف (وكقوله " اللهم اغنني بالفقر اليك ، ولا تفقرني بالاستغناء عنك) انظر اعجاز القرآن : ٩٨

(١) سورة العنكبوت : ١٦ - ١٧ ، اعجاز القرآن : ١٠٠ .

(٢) يقول حسان في معنى الالتفات :
ان التي ناولتني فردتها
قلت قتلت ، فماتها لم تقتل . (انظر اعجاز

القرآن : ١٠٠)

(٣) سورة القصص : ٣ - ٤ - ٨ ، اعجاز القرآن : ١٠٣ .

(٤) ومثل التذليل في قول للحطيئة :
قوم اذا عقدوا عقدا لبحارهم
شدوا العنجا وشدوا فوقه الكريا (انظر اعجاز القرآن

: ١٠٣)

(٥) سورة النحل : ٤٨ - ٤٩ ، اعجاز القرآن : ١٠٦ .

(٦) وقول السموأل فيه استطراد مثل :
وانا لقوم لا نرى القتل سبة
اذا ما رآته عامر وسلول (انظر اعجاز القرآن : ١٠٤)

(٧) سورة الشرح : ٥ - ٦ ، اعجاز القرآن : ١٠٦ .

(٨) وقد ورد في التكرار امثال منها كقول الشاعر :
هلا سالت بموع كـ
دة يوم ولو ايين اينا (انظر اعجاز القرآن : ١٠٦)

(٩) اعجاز القرآن : ٢٦٢ .

(١٠) يرد الباقلاني هنا على علي بن عيسى الرماني الذي قسم البلاغة الى عشرة اوجه في كتابه "النكت في اعجاز القرآن" (انظر ثلاث رسائل في اعجاز القرآن : ٦٩) . . .

الى حذف وقصر ، فالحذف : هو الاسقاط للتخفيف كقوله : ~~واسأل القرية~~ (١) . اما
 الایجاز بالقصر كقوله ~~ولكم في القصص حياة~~ (٢) . ويسمى تعديل الحروف في التأليف
 تلاوفاً وهو نقيض التنافر (٣) . ويعتبر الباقلاني ان المتلائم في الطبقة العليا وان القرآن
 كله متلائم (٤) ، ومعنى التلاوؤم " حسن الكلام في السمع وسدال اللفظ ، وحسن البيان
 وصحة البرهان . واما " الفواصل " فهي حروف تشاكلة في المقاطع يقع بها فهم المعنى
 وتختلف الفواصل عن الاسجاع التي يتبعها المعنى ، فالفواصل تابعة للمعنى كقوله تعالى
~~فمن اعتدى عليكم~~ ، فاعتدوا عليه بمثل . اعتدى عليكم (٥) . وقد تقع الفواصل على
 حروف متقاربة ، وعلى حروف متجانسة وهي كثيرة في القرآن (٦) . اما التضمين : فعلى
 وجهين : تضمين توجيه البنية ، وتضمين يوجبه معنى العبارة كقوله ~~بسم الله الرحمن~~
 الرحيم وهذا يعتبر من باب التضمين لانه تضمن تعليم الاستتاج في الامور باسمه
 على وجه التحليل لله تبارك وتعالى (٧) . " والمبالغة " في البلاغة تدل على كثرة
 المعنى وقد تكون في الصفة المبنية كقولك " رحمان " بدل عن " راحم " وكذلك " فقار " (٨) ،
 واما المبالغة باللفظة فهي صفة عامة كقوله ~~خالق كل شيء~~ (٩) . ثم ان " حسنة
 البيان " من البلاغة ونقيضه العي (١٠) وهو على اربعة اقسام : كلام ، وحال ، واشارة
 وعلامة . قال تعالى ~~الرحمن علم القرآن خلق الانسان علمه البيان~~ (١١) . وكقوله

-
- (٤) سورة يوسف : ٨٢ ، اعجاز القرآن : ٢٦٢ .
 (٢) سورة البقرة : ١٧٩ ، اعجاز القرآن : ٢٦٣ .
 (٣) كقول الشاعر في التنافر : وقبر عرب بمكان قفر وليس قرب قبر حرب قبر انظر
 اعجاز القرآن : ٢٦٩ .
 (٤) اعجاز القرآن : ٢٧٠ .
 (٥) سورة البقرة : ١٩٤ ، اعجاز القرآن : ٢٧١ .
 (٦) ومثله في الشعر لعمر بن كلثوم :
 الا لا يحلن احد علينا فنجل فوق جنال الجاهلينا (انظر اعجاز القرآن : ٢٧١) .
 (٧) اعجاز القرآن : ٢٧٣ .
 (٨) اعجاز القرآن : ٢٧٣ .
 (٩) سورة الزمر : ٦٢ ، اعجاز القرآن : ٢٧٤ .
 (١٠) نقيض البيان العي ، قيل اعيان باقل . سئل عن نظية في يده : بكم اشتراها
 فاراد ان يقول : بأحد عشر ، فاشار بيده ماداً اصابعه العشرة ، ثم ادلى لسانه واقتلعت
 النظية من يده (انظر اعجاز القرآن : ٢٧٤) .
 (١١) سورة الرحمن : ١ - ٢ - ٣ - ٤ ، اعجاز القرآن : ٢٧٥ .
 .../...

فانضرب عنكم الذكر صفحا ان كنتم قوما مسرفين (١) فبيان القرآن اشرف بيان في نظر الباقلاني - واعداه واكملة واعلاه وابلغه واسنائه (٢) .

وقد بين الباقلاني وجوها من البديع " كالمساواة " (٣) ، " والمبالغة والغلو " (٤) ، و" الايغال " (٥) ، و" صحة التفسير " (٦) و" التكافؤ " (٧) والسلب والايجاب " (٨) . و" الكناية والتعريض " (٩) وسبب البعض من ابواب كباب " الاستثناء " (١٠) والتعطيف " و" المطابقة " وقد ذكرها دون ان يأتيها مثله من شعر العرب وكلامهم المثلث . وليست بنا حاجة الى الامثلة هذه خوفا من ان نخرج عن النقص الذي اراده الباقلاني من اظهار بلاغة القرآن .

ان القدرة الالهية التي جعلت القرآن معجز ، هي المسألة الاولى المستنتجة وان كانت المسألة المثارة في كتاب الاعجاز بلاغة القرآن وقد اخذت اهمية كبرى من الباقلاني فانه - بناء كلمات القرآن من حيث تركيبها وبالتالي وضعها في الجملة . وقد قال الله تعالى قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظميرا (١١) . فالباقلاني في بحثه هذا عن اعجاز القرآن وتمييز اسلوبه على كل فن من فنون الادب والشعر ، سواء كان عربيا ام اعجيا ، اوضح ما كان قد سبقه من بحث - و

-
- | | |
|------|---|
| (١) | سورة الزمهر : ٥ ، اعجاز القرآن : ٢٨٢ . |
| (٢) | اعجاز القرآن : ٢٨٢ . |
| (٣) | اعجاز القرآن : ٨٩ . |
| (٤) | اعجاز القرآن : ٩١ . |
| (٥) | اعجاز القرآن : ٩٢ . |
| (٦) | اعجاز القرآن : ٩٥ . |
| (٧) | اعجاز القرآن : ٩٧ . |
| (٨) | اعجاز القرآن : ٩٨ . |
| (٩) | اعجاز القرآن : ٩٨ . |
| (١٠) | اعجاز القرآن : ١٠٦ . |
| (١١) | سورة الاسراء : ٨٨ ، اعجاز القرآن : ١٨ . |

.../...

حول المعجز الآلهي الذي ظهر بأياته ~~و~~ ولقد صرفنا للناس في هذا القرآن من كـلـ
 مثل (١) . فافنى الفكر العربي بكتابه هذا في الاعجاز ما دفع البعض (٢) . بعده الى
 تمييز اعجاز القرآن ، على غيره من الكتب والرسالات ، دون خوف او ابتعاد فقد انتصر لفكرة
 فتح باب الكلام في اسلوب القرآن وقد ظهر على رجل ابي لا يحسن القراءة والكتابة ، فغـبـر
 بالغيـب باسـلوب تعدى كل نظم ، وفاق كل فن ما ألزم القول بالصرقة قرونا طويلة فلا انتقاد
 لهذا المعجز الالهـي ولا تعدى . الا ان الباقلاني كثيره عن سبقه (٣) . ابعد القول
 بتلك - الفكرة المعتزلية التي صرفت الاندفاع زما طويلا عن الاشتغال باسلوب القرآن وبيان
 اعجـازـه .

واذا كان الباقلاني قد اثار في كتاب الاعجاز هذا ، مسألة القدرة فقـد
 حاول في كتاب البيان (٤) ، ان يوضح تأثير هذه القدرة وتمييزها عن القدرة البشرية
 المستمدة منها ، وبالتالي تمييز المعجز عن السحر والكهانة والشعوذة .

كما حاول في كتاب التمهيد (٥) وفي فصل شاعى (٦) ، ان يثبت نبوة محمد صلى
 الله عليه وسلم ، ويظهر القرآن معجزا من الله تعالى . وقد كان هذا الفصل ردا على
 البراهمة (٧) ، واليهود (٨) فوجب ارسال الرسل ، ان ليس العقل وحده هاديا ومرشدا
 للمكلف ، فالسمع ايضا يهـدى للشرائع الواجبة من الله تعالى الى خلقه ، كما اوجب نسـخ
 الشرائع بالرسل المرسلين من الله ، ان انه تعالى ارسل عيسى ومحمد بعد موسى ، فليـس
 موسى وعده نبيا مرسلًا منه تعالى .

-
- (١) سورة الاسراء : ٨٩ ،
 - (٢) ذكرنا نقلا عن الموسوعة الاسلامية طبعة ١٩٦٠ اداة اعجاز تأثير الباقلاني على
 عبد القاهر الجرجاني وفكر الدين الرازى .
 - (٣) امثال العنطاوي والرماني - انظر ثلاث رسائل في اعجاز القرآن ، الموسوعة الاسلامية
 اداة اعجاز - طبعة ١٩٦٠ م .
 - (٤) وقد اتيت على شرح هذه الفكرة عند ما بحث حول كتاب البيان
 - (٥) اشرت في حينه الى التاريخ التقريبي لكتاب التمهيد وكتاب البيان ، ثم كتاب الاعجاز
 وذلك بعد ان اطلعت على مختلف آراء المحققين المثبتة بادلة وبراهين ، وجدت ان الباقلاني
 الف كتاب التمهيد اولا ثم كتاب البيان ثم كتاب الاعجاز .
 - (٦) التمهيد طبعة ١٩٥٧ : ١٣٢ - ١٥٩ .
 - (٧) التمهيد طبعة ١٩٥٧ : ١٠٤ - ١٣١ .
 - (٨) التمهيد طبعة ١٩٥٧ : ١٦٠ - ١٨٨ .
- ٠٠٠ / ٠٠

وقد شملت افكار الباقلاني في التمديد ما جاء في كتاب الاعجاز وكتاب البيهقان
فحشر في هذا الفصل ما وسعه في الكتابين المذكورين من قدرة الالهية الخارقة
التي لا تنفك تتدخل باستمرار في كل شيء ، وفي كل وقت ، فالله قادر على ارسال الرسل
والانبياء ، وقادر على اظهار المعجز على ايديهم ، وقد اخبرنا ان لا نبي بعد محمد
لما جاء في القرآن من نصالي على ذلك .

وقد عاوت في بعشي في كتاب التمديد ان اجمع مختلف افكار الباقلاني الاخرى
التي يتناول فيها مسائل مختلفة عن هذه . وسوف اعرضها مفصلة في الفصل الثالث
من هذا الباب .

= ٨٢ =

الفصل الثالث

حول كتاب التمهيد

=====

ثالثاً : حول كتاب التمهيد :

وضع الباقلائي كتاب التمهيد في الرد على الملحدة والمعتلة والرافضة والخوارج والمعتزلة ، بناء على رغبة الامير ابن عميد الدولة ^(١) ، ليتزود بزيادة المعرفة في امور دينه ودينه ، فجاء الكتاب جامعاً مختصراً لمواضيع شتى في علم الكلام ، وقد صدر هذا الكتاب في نشرتين ^(٢) الثانية " تكمل الاولى من حيث الفصول الناقصة في الكلام والتي غابت على الثلث ^(٣) بينما النشرة الاولى تحتوي على باب الامامة المسقط من النشرة الثانية ، وهذا اعتمدت النشرتين لاعتبار فحوى الكتاب ككل ، وادخل مادته واقومها ، فآخذ بعين الاعتبار الطريقة الباقلائي التي سار عليها في وضع هذا الكتاب ، وقد اعلن عنها في مقدمته ^(٤) ، للكتاب فاقسمه في ثلاثة اجزاء . ففي الجزء الاول ^(٥) ، رد الباقلائي على المعتزلة والرافضة والخوارج والمعتزلة وهي فرق اسلامية ، وفي الجزء الثاني ^(٦) ، رد على سائر الملل الاخرى من اللا موحدة من اصحاب الباطن والمذممين ، واشل التشنية والمجوس ، ومن الموحدة من اهل الملل المخالفة لملة الاسلام من النصارى واليهود ، اما في الجزء الثالث ^(٧) ، فقد ذكر مناقب الصحابة ، فضائل الائمة الاربع ثم اثبات امامتهم .

- (١) يذكر الآب ريتشارد يوسف مكارتي في مقدمته لكتاب التمهيد ان الامير عماد الدولة هو الذي طلب من الباقلائي تأليف الكتاب (انظر : ٢٢ من المقدمة) وعماد الدولة هو ابو كاليب ارالمزيان ابن عميد ، وقد كان ولياً للعهد فلما توفي والده نصب مكانه ولريماً يكون هذا سبب من الاسباب التي دعت الآب مكارتي الى التيقن من شخصيته فذكر اسمه (انظر الكامل في التاريخ ٩ : ٢٢) .
- (٢) صدر التمهيد في القاهرة سنة ١٩٤٧ بتحقيق محمود محمد الخضيرى ومحمد عبيد الهادى ابوريدة وصدر في بيروت ١٩٥٧ بتحقيق الآب ر . مكارتي .
- (٣) مقدمة التمهيد (طبعة ١٩٥٧) : ٢٠ .
- (٤) حاول الآب د . ميشال الارفي كتابه المترجم المخلوط مشكلة الصفات الالهية وعلى ورقة ٢٩٧ ، ان يتبع تقسيماً خاصاً لكتاب التمهيد مستعيناً بالنشرتين الصادرتين ١٩٤٧ و ١٩٥٧ ، وقد اراد بهذا التقسيم تطبيق المنهج المعتزلي في مباحث علم الكلام ، فبدأ اولاً بالتوحيد ، ثم العدل ثم المنزلة بين المنزلتين ، وبعد هذا القيامة او الوعد والوعيد ، ثم الامامة .
- (٥) التمهيد (طبعة ١٩٥٧) : ٦ - ٣٢ .
- (٦) التمهيد (طبعة ١٩٥٧) : ٣٤ - ١٩٠ .
- (٧) التمهيد (طبعة ١٩٤٧) : ١٦٠ - ٢٣٩ .

وقد حاولت جديدي ان انسج ما جاء في الكتاب سواء في نشرته الاولى الصادرة سنة ١٩٤٧ ، او في نشرته الثانية المادرة سنة ١٩٥٧ . فجعلت الفصل الاول ^(١) ، من الجزء الاول من الكتاب ، وقد تناول الباقلاني حقيقة العلم ، والمعلومات والموجودات وفي الفصل الثاني ^(٢) ، تناول وجود الله وصفاته وفي معنى الصفة وفي الاسم والمسمى ، وتكلم في الاحوال ، والكلام الالهي ، وفي خلق القرآن ، وذكر ابوابا شتى في الصفات ، من كلام الله ، واراادته لجميع المخلوقات ، ومن استطاعة الانسان وقدرته على التصرف ، ثم الكلام في خلق الافعال البشرية ، واتى الباقلاني ايضا على الكلام في قضاء الله تعالى في المعاصي ، والارزاق والاحال ، وفي الهدى والضلال ، وفي اللطف ، ثم الكلام في التعديل والتجوير . اما في الفصل الثالث ^(٣) ، فقد تكلم الباقلاني في الايمان والاسلم ، وفي الخصوص والعموم ، وفي شفاعة الانبياء .

اما الجزء الثاني فيحتوي على ثلاثة فصول : في الفصل الاول ^(٤) ، وتكلم المؤلف على القائلين بفعل الجبائم ، والمنجمين ، واهل التثنية ، ثم على المجوس ، وفي الفصل الثاني ^(٥) ، تكلم على سائر الملل الموحدة ، والمخالفة لملة الاسلام كالنصارى والبراهمة واليهود ، وفي الفصل الثالث ^(٦) ، اثبت نبوة محمد صلى الله عليه وسلم واظهر القرآن معجزة آلهية . واما الجزء الثالث ففيه ثلاثة فصول ايضا : الفصل الاول ^(٧) ، كان في معنى الخبر وانواعه ، والفصل الثاني ^(٨) ، في حكم اختيار الامام وموجبات خلعه ، وفي الفصل الثالث ^(٩) ، كان في امامة الخلفاء الراشدين وقد ذكر الباقلاني في هذا الفصل مناقب الائمة الاربعة مختصرا ورواعدا ان يطول في ماثرهم في كتاب مناقب الائمة ^(١٠) .

- | | |
|------|--|
| (١) | التمهيد (طبعة ١٩٥٧) : ٦ - ٢١ . |
| (٢) | التمهيد (طبعة ١٩٥٧) : ٢٢ - ٣٢ ، ١٩٧ - ٣٤٥ . |
| (٣) | التمهيد (طبعة ١٩٥٧) : ٣٤٦ - ٣٧٧ . |
| (٤) | التمهيد (طبعة ١٩٥٧) : ٣٤ - ٧٣ . |
| (٥) | التمهيد (طبعة ١٩٥٧) : ٧٥ - ١٢١ ، ١٦٠ - ١٩٠ . |
| (٦) | التمهيد (طبعة ١٩٥٧) : ١٣٢ - ١٥٦ . |
| (٧) | التمهيد (طبعة ١٩٤٧) : ١٦٠ - ١٧٨ . |
| (٨) | التمهيد (طبعة ١٩٤٧) : ١٧٨ - ١٨٧ . |
| (٩) | التمهيد (طبعة ١٩٤٧) : ١٨٧ - ٢٣٩ . |
| (١٠) | التمهيد (طبعة ١٩٤٧) : ٢٢٩ . |
- .../...

(١) الكلام في وجود الخالق وصفاته :

(أ) الكلام في علم العلم :

حدد الباقلاني العلم بمعرفة المعلوم على ما تدعوه ، وليس بمعرفة الشيء على ما تدعوه ، لان المعلوم يدل على فيه الشيء وما ليس بشيء أي المعدوم (١) ، وهذا التعريف جامع مانع لا حالته بالمعنى وعصره ثم تمييزه ، فالمعلوم اعم من الشيء - وهذا تعدد للباقلاني والمتكلمين - لان المعلوم يدل على الموجود والمعدوم والقديم والمحدث (٢) ، ويرى الباقلاني ان علم الله قديم بذاته ، وليس علما ضروريا او استدلاليا لان هذه العلوم سادسة تحصل للمخلوقات من جن وانس وحيوان ، فعلم الله على عكس علم المخلوقات ان علمها محدث من الله تعالى يحصل في انفسها بالضرورة والحس او بالاستدلال بعد تفكر ونظر (٣) . وهذا ما يسمى بالعلم المكتسب . ويعرف الباقلاني العلم الضروري - الخاص بالمخلوقات بانه علم يحدث في نفس المخلوق بقدرة غير قدرته فيلتزم به التزاما ضروريا ملحا . والعالم به محتاج اليه ضرورة لانه يحصل في نفسه من غير شك ولا ريبه وبواسطة الحواس الخمس كما يحصل بواسطة الادراك (٤) . فالحواس الخمس يحصل البصر والسمع ، والذوق ، والشم واللمس ، وبالأدراك يحصل علم الانسان بوجود ذاته - ويقصد المتكلم الى ما يقصده - وغير ذلك من الصفة والالام ، فعلم الادراك غير علم الحواس يخترعه الله تعالى في نفس المخلوق من غير ابتداء ، وهذا ما يسميه الباقلاني بالعلم النظري الذي يبنى على علم الضرورة والحس وهو كما سبق ان ذكرنا كسبي (٥) .

(ب) في تحديد المعلومات :

يقسم الباقلاني المعلومات في قسمين : معدوم ووجود ، والمعدوم : هو الصنفي وليس بشيء (٦) وهو خمسة انواع بحسب قسمة الباقلاني (١) - معلوم معدوم لم يوجد ولا يصح ان

- | | | |
|-----|---------|-------------------------|
| (١) | التحديد | (الجمعة ١٩٥٢) : ٦ |
| (٢) | التحديد | (الجمعة ١٩٥٢) : ٢٣٤ |
| (٣) | التحديد | (الجمعة ١٩٥٢) : ٨ |
| (٤) | التحديد | (الجمعة ١٩٥٢) : ٧ |
| (٥) | التحديد | (الجمعة ١٩٥٢) : ٨ |
| (٦) | التحديد | (الجمعة ١٩٥٢) : ١٥ - ١٦ |

يوجد مثل اجتماع الضدين وكون الجسم في مكانين (٢) - ومعلوم معدوم لم يوجد قط ولا يوجد ابد ، وهو مما يصح ويمكن ان يوجد مثل رد اهل الحاد الى الدنيا (٣) - ومعلوم معدوم في وقتنا هذا وسيوجد فيما بعد نحو الحشر والنشر ، والجزاء والثواب والعقاب وقيام الساعة (٤) ومعلوم معدوم يمكن عندنا ان يدور ، ويمكن ان لا يدور ولا يدري ا يكون ام لا يكون مثل قدرة الله تعالى في تحريك الساكن او تسكين المتحرك ، فنحن لا نعلم اي فعل هذا العمل ام لا ، لان امر الفعل عائد اليه .

والموجود هو الشيء الثابت الكائن (١) وهو على ضربين : قديم لم يزل ومحدث لوجوده اول ، والقديم هو الله تعالى (٢) ، يتقدم الاشياء بلا غاية موجبة الى تقدمه ولا يصح عليه العدم وهو يتعالى عن ذلك . اما المحدث فهو الموجود عن عدم ويحدث المحدث من الخير والله تعالى هو محدث الاشياء .

وقد قسم الباقلاني المحدثات الى ثلاثة اقسام : جسم مؤلف ، وجوهر منفرد وعرض موجود بالاجسام والجواهر (٣) . والعالم بجزأيه العلوي والسفلي مؤلف من اجسام مؤلفة من جواهر واعراض محدثة فهو محدث مثلها .

يعني الباقلاني بتأليف الجسم (٤) ان يكون مؤلفا من اجزاء كثيرة تنضم وتتألف - وقد تكون ابعاضه مجتمعة متماسة او مفترقة متباينة وهو حادث لحصوله مع الحوادث لا قبلها .

يعني بالجواهر ان يقبل من كل جنس من اجناس الاعراض عرضا واحدا ومتى خرج عن خصائصه هذه لم يعد جوهرا . واما العرض فيعني به المعلوم الموجود الذي لا يصح بقاؤه زمانين (٥) ، ويكون غالبا في الاجسام والجواهر ، ويبطل في ثاني حال وجوده ، فالحركة تسكن حين يحل السكون وهي عرض ، وكذلك يبطل السكون حين تحدث الحركة . وقد قال الله

- | | |
|-----|----------------------------|
| (١) | التمهيد (طبعة ١٩٥٧) : ١٥ . |
| (٢) | التمهيد (طبعة ١٩٥٧) : ١٦ . |
| (٣) | التمهيد (طبعة ١٩٥٧) : ١٧ . |
| (٤) | التمهيد (طبعة ١٩٥٧) : ١٧ . |
| (٥) | التمهيد (طبعة ١٩٥٧) : ١٨ . |

في كتابه (تريدون عرف الدنيا والله يريد الآخرة) (١) .

ج (كيفية حدوث المعرفة :

في نظر الباقلاني يحصل الاستدلال على العلم والمعلومات لدى السباد بطرق مختلفة ليسر لها حصر ، لان العقل الانساني يقسم الشيء في قسمين او اقسام . وهذا الاقسام لا يمكن ان تجتمع على الصحة والفساد ، فلا بد ان تكون اما صحيحة او فاسدة (٢) . ويحدد الباقلاني الاستدلال : بعدم اجتماع النقيضين في شيء واحد فيخرج الشيء عن القدم والحدث معا ومتى اثبت الدليل على قدمه بطل حدثه ، وكذلك اذا ثبت حدثه بطل قدمه . ويحصل استدلال الشاهد على الغائب بالدليل ، فالشيء لا يكون جسما الا اذا كان مؤلفا ، والمؤلف هذا دليل او شاهد على المادة التي تألف منها الشيء ، ومن طرق الاستدلال ايضا النقل المتواتر ، ان به يستدل على صدق الاخبار ، فالمعجز ظهر على النبي ونقل اليها خبره بالتواتر . ويحصل الاستدلال كذلك بادلة التوقيف والسمع : ومن هذه الادلة القرآن ، وسنة النبي واجماع الامة ، ثم القياس الشرعي وما يجري مجرى القياس من غروب الاجتهاد لتحصيل النتيجة .

والباقلاني يعتمد على طرق استدلاله الاعولية هذه ليصل الى معرفة العلم والمعلومات ، وهي طرق خاصة لا تعتمد على طرق اخرى غير تابعة من اصول الدين مما دفع علي سامي الشار (٣) ان يصح بجرأة ان الباقلاني كان "عدوا ممتازا للتراث اليوناني" (٤) .

(١) سورة الانفال : ٦٧ ، التمهيد (طبعة ١٩٥٧) : ١٨ .

(٢) التمهيد (طبعة ١٩٥٧) : ١١ .

(٣) في كتاب مناهج البحث عند مفكرى الاسلام (الطبعة الثانية ١٩٦٦) دار المعارف

(٤) مناهج البحث عند مفكرى الاسلام : ٧٦ .

وجود الله وصفاته وتشعبها في الاسماء والاحوال :

(أ) الله محدث العالم :

يعتقد الباقلاني ان لا بد لهذا العالم من محدث احده ، فالاشياء اجسام مؤلفة لا يمكن ان تفعل نفسها بنفسها وهي الى موات ، وفاعل العالم ^(١) قديم لا يجوز عليه العدم ولا يشبه الاشياء المحدثه لا في الجنس ، ولا في الصورة لان المحدث يفترق وجوده الى محدث وهكذا يتسلسل الى غير نهاية .

والمحدث واحد احد ، ليس من آخر معه ^(٢) ، وهو الله سبحانه وتعالى ومن يكون محدثا للاشياء قادرا عليها ، لا بد ان يكون حيا حكيما ، مريدا ، يحول الاشياء ويديرها ثم يأتي بمثلها متى يشاء .

(ب) الصفات الالهية : ^(٣)

وصانع الاشياء الحي في اعتقاد الباقلاني يعلم بها ، ويقدر عليها لان الانفعال المحتملات لا تصدر الا عن حكيم فلا يجوز عليه العجز والموت ، والخرس ، والسكوت والعمى والصمم ، لانها آفات تدل على حدث الموصوف بها . اما القديم سبحانه فلا يجوز وصفه بشيء من هذه الاوصاف وهو تعالى ، حي ، عالم ، قادر ، مريد ، سميع ، بصير ، متكلم ^(٤) . والله تعالى موصوف ايضا بالغضب والرضى والحب والبغض ، والولاية والعداوة والشهوة ، وهي صفات ارادها للنفع والاضرار فقط ^(٥) .

ومن يدون حيا عالما قادرا ، سميعا بصيرا ، متكلم ، ومريدا فان له حياة وعلم ، وقدرة وسمعا ، وبصرا ، وكلاما ، وارادة ، وهي صفات غير موجبة له ان يكون كذلك لانه يتعالى عن كل الحل ويستنتج الباقلاني من ان معنى وصف القديم بانه عالم ، قادر زائد على وصفه " بانه شبي"

- | | |
|-----|---------------------------------|
| (١) | التمهيد (طبعة ١٩٥٧) : ٢٤ - ٢٥ . |
| (٢) | التمهيد (طبعة ١٩٥٧) : ٢٥ . |
| (٣) | التمهيد (طبعة ١٩٥٧) : ٢٦ . |
| (٤) | التمهيد (طبعة ١٩٥٧) : ٢٦ . |
| (٥) | التمهيد (طبعة ١٩٥٧) : ٢٧ . |

موجود ، وان هذا الوصف للتقديم قد ينتفي عنه مع وجود نفسه وكونه شيئا موجودا " (١) .

ج (بين الاسم والمسمى : اسماء الله :

أخذ الباقلاني تعريف الاسم عن أهل الحق معتبر ان اشتقاقه من السمو وليس من السمة التي هي العلامة كما يعرفها المعتزلة (٢) ، وإذا قال الباقلاني " بالسمو " فلانه مشتق من " سما يسمو " وليس من " وسم يسم " حتى اذا اتصف الاسم بالتصغير يقال " سمي " فلو كان من السمة لقالوا " وسم " وإذا كان الباقلاني قد أخذ تعريف الاسم عن أهل الحق ، فقد اعتمد على أهل اللغة في برهانه هذا . فيسبويه في كتابه : " الافعال امثلة اخذت من لفظ احداث الاسماء " اعتقد ان الاسم هو نفس الشخص الذي تقع فيه الاحداث (٣) ، والباقلاني يعتقد ان الاسم هو المسمى نفسه او هو صفة متعلقة به ، فالاسم غير التسمية (٤) ، اما المعتزلة ، فتعتقد عكس هذا وهو ان الاسم غير المسمى ، وانه قول المسمى وتسميته يطلقه على من سماه (٥) ، الا ان الباقلاني يعتمد على قول الله تعالى (٦) ما تعبدون من دونه الا اسما سميتوهما انتم واباؤكم ما انزل الله بها من سلطان (٦) .

وعلى هذا فقد قسم الباقلاني اسماء الله في قسمين : ١ - ما يكون عائدا الى نفسه تعالى ، ويكون هو هو ككونه موجودا وشيئا وقديما وذاتا ، وواحدا وغيرها من الاسماء الراجعة الى ذاته ، ٢ - وما يكون اسما وهو صفة حاصلة له تعالى ، وتنقسم هذه الصفة الى صفة ذات كعام او صفة فصل كحسن (٧) . ويحني الباقلاني بان الاسم والمسمى شيء واحد من حيث ان الاسماء تكون كثيرة في العدد ، وان الذات تكون واحدة . فالله تعالى " انه موجود وانه شيء " ، وانه قديم ، وانه غير لما غاير وخلاف لما خالف (٨) . وان الله تسعة وتسعون

- (١) التمهيد (طبعة ١٩٥٧) : ١٦٨ .
- (٢) التمهيد (طبعة ١٩٥٧) : ٢٢٥ .
- (٣) التمهيد (طبعة ١٩٥٧) : ٢٢٨ .
- (٤) التمهيد (طبعة ١٩٥٧) : ٢٢٧ .
- (٥) التمهيد (طبعة ١٩٥٧) : ٢٢٧ .
- (٦) سورة يوسف : ٤٠ . التمهيد (طبعة ١٩٥٧) : ٢٣٩ .
- (٧) التمهيد (طبعة ١٩٥٧) : ٢٣٠ .
- (٨) التمهيد (طبعة ١٩٥٧) : ٢٣١ .

اسما من احصاها دخل الجنة" (١) ، ثم من اسماء الله تعالى ، ما يشترك بها مع خلقه مثل حي ، عالم ، قادر ومنها ما لا يشترك مع خلقه ، فتجربى عليه وحده مثل " الله الرحمن " ، " والاله " و" الخالق " (٢) .

ثم ان الباقلاني ينفي عن الاسم المعنى العام والغايلان هذا المعنى يعني الذات ، فالذات لا يجوز ان تكون عامة وخاصة ، ويعتبر ان العام في التسمية وليس في الاسم ، لان التسمية تعم اشياء كثيرة تجرى على سبيل واحد " فمعلوم " هي تسمية عامة لان " المعلوم " قد يكون موجودا او معدوما ، واعتبر الباقلاني مع الاشعرية ان " شي " تسمية عامة (٣) . واما " قديم " فـ " قديم " تسمية اخبر من " شي " .

(د) بين الصفة والوصف :

الصفة في تعريف الباقلاني هي الشيء الموجود بالوصف (٤) ، وتعريف الوصف هو اطلاق الواصف للموصوف وهو الله تعالى بانه : حي ، عالم ، قادر ، منعم ، متفضل (٥) ، وصفات الباري هذه لا تحدث له كما تحدث صفات المخلوقين - وقد اشرنا في فصل الصفات الالهية - ان هذه الصفات ليست ذات اعداد كصفاتهم ، وهي قديمة والله تعالى لم يتغير قبل وجودها ، ولا يتغير بوجودها (٦) .

ويقسم الباقلاني الصفات الى صفات ذات ، وصفات فعل قاله تعالى قد وصف نفسه بانه حي ، قديم ، عالم ، قادر وهي صفات ذات (وهذه الصفات لا يقال انها صفات الذات لنفسه ولا هي غير هذه الصفات (٧) ، وهذا ما سبب قول الباقلاني بالاحوال فقد قال بها ثم رفضها لانها تمنح قديمة مثل القديم ولا يجوز ان تكون مشاركة في القدم للقديم - اما صفات الفعل

- | | |
|-----|--|
| (١) | التمهيد (طبعة ١٩٥٧) : ٢٣٢ ، حديث نبوي شريف . |
| (٢) | التمهيد (طبعة ١٩٥٧) : ٢٣٣ . |
| (٣) | التمهيد (طبعة ١٩٥٧) : ٢٣٤ . |
| (٤) | التمهيد (طبعة ١٩٥٧) : ٢١٣ . |
| (٥) | التمهيد (طبعة ١٩٥٧) : ٢١٤ . |
| (٦) | التمهيد (طبعة ١٩٥٧) : ٢١٤ . |
| (٧) | التمهيد (طبعة ١٩٥٧) : ٢١٥ . |

فيميزه حين يصف الله تعالى نفسه بالخالق والرازق والعدل ، وهي غير صفاته التي هي الخلق والرزق والعدل ، وهي محدثة ، صفات الذات الالهية غير صفات الافعال الالهية لانها تكون موجودة مع عدمها (١) .

وقد نفى المعتزلة ان يكون لله عفة واسما لا اعتقادهم ان لا يجوز ان يدون القديم في القدم واصفا لنفسه واعتقدوا ان الله - لولا دلالته واعتبروا ان الخلق هم الذين يجعلون لله الاسماء والصفات ، وهذا ما يتناقض مع اجماع اهل السنة والجماعة ومع رأي الباقلاني الذي خالف المعتزلة ووافق هؤلاء (٢) ، الذين اعتقدوا ان الله تعالى قد وصف نفسه بانه حي ، عالم ، قديم ، وجيء هذا الوصف في القرآن والسنة .

(هـ) كلام الباقلاني في الاحوال ، ورده على ابي هاشم : (٣)

ينكر الباقلاني ان تكون دلالة الفعل على ان فاعله عالم ، قادر ، دلالة على حال له فارق بها من ليس بعالم ولا قادر ، وانثاره هذا يعتمد على اعتبار ان هذه الحال لا تخلو ان تكون معلومة او غير معلومة . فان كانت الحال غير معلومة ولا معروفة فلا سبيل الى معرفتها فمن كان ليس معلوما لا يصح ان يعلم ضرورة ، فليس من المفروض ان يعلم انه لزيد دون عمرو .

اما اذا كانت معلومة بالاستدلال دون الضرورة ، فهذا علم بها جملة فاذا استحال العلم بها جملة ، استحال العلم بانها لفلان دون فلان ، وانها معلومة بالاستدلال دون الضرورة (٤) . ويرفض الباقلاني ان يكون كل من له الحال معلوم مباشرة لان العلم بالنفس لا يخلو على الحال من ان يكون محال ، ويقول اذا كان العلم علما بالنفس على الحال فهذا محال . واذا كان العلم علما بالحال فقط فالحال معلومة . اما اذا كان العلم علما لا بالنفس ولا بالحال فهذا محال سواء في رايه هو او في رأي المعتزلة - الرد على ابي هاشم - واذا كان العلم علما بالنفس والحال فيوجب ان يكون معلومين ، فتكون الحال معلومة كما ان النفس تكون معلومة وهذا ما يبطل قول - ابي هاشم - في ان الحال غير معلومة .

(١) التمهيد (طبعة ١٩٥٧) : ٢١٥ .

(٢) التمهيد (طبعة ١٩٥٧) : ٢١٧ .

(٣) هو ابو هاشم عبد السلام بن ابي علي محمد بن عبد الوهاب الجبائي المتوفى ٣٢١ هـ وكان ابو هاشم معتزليا (انظر وفيات الاعيان لابن خلكان ٣ : ١٨٣) .

(٤) التمهيد (طبعة ١٩٥٧) : ٢٠٠٤ .

والباقلاني يوجب اذا كانت الحال معلومة ان تكون موجودة او معدومة - فهو يعتبر ان كل معلوم يكون اما موجودا او معدوما - فان كانت الحال موجودة فيجب ان تكون شيئا وصفة متعلقة بالعالم ، هذا الشيء او الصفة يكون علما او حالا ، واذا عمل الخالف يكون في تسمية الشيء علما وحالا " ولا يكون في المسمى وعلى هذا اثبت الباقلاني صحة وجود الصفات (١) . اما اذا كانت الحال معدومة فيستحيل عليها ان توجب حكما . وان تتعلق بزيد دون عمرو - اى ان تتعلق بالقديم دون المحدث - (٢) .

ويرد الباقلاني على من افترض ان تكون الحال حالا للخالق سبحانه وتعالى فيقول اذا كانت حالا له لانها حال فقط ، يتوجب علينا قبل بل حال على هذا النحو ، فيكون حالا له . واما اذا كانت حالا له لحدوثها على حال اخرى ، يتوجب في هذه الحال ان توجد حالا للحال تكون لحال ثالثة وهكذا ندور ابدا بلا غاية ، وهذا ما يدعونا الى رفض هذا القول (٣) .

وفي افتراض آخر من الباقلاني فيما اذا كانت الحال حالا له لنفسه وثبوته ، فان نفسه قد توجد من غير ان توجب وجود الحال ، واما اذا كانت الحال حالا له لا لنفسه ، ولا لعلية ، ولا لحال ، وعليها ، ولا لامري يجب العلم به ، فان هذا يدعو الى بطلان سائر الاعراض ، لان كل متلون او متحرك او موصوف يتمييز عن غيره بصفة هو عليها ، وبالتالي يعود الباقلاني الى اثبات الصفات ، وان الاحوال ما هي الا صفات (٤) لله تعالى .

و) كلام الباقلاني في صفات باعيانها :

١ - علم الله تعالى :

انكر المعتزلة وغيرهم في ان يكون لله علما يعلم به (٥) ، والباقلاني يثبت بان لله علما يعلم به برده على هؤلاء (٦) ، نظفيا حجتهم في ان العلم يكون عرضا حادثا

- | | |
|-----|-----------------------------------|
| (١) | التمهيد (طبعة ١٩٥٧) : ٢٠١ . |
| (٢) | التمهيد (طبعة ١٩٥٧) : ٢٠١ . |
| (٣) | التمهيد (طبعة ١٩٥٧) : ٢٠٢ . |
| (٤) | التمهيد (طبعة ١٩٥٧) : ٢٠٢ . |
| (٥) | التمهيد (طبعة ١٩٥٧) : ٢٠٣ ، ٢١٠ . |
| (٦) | التمهيد (طبعة ١٩٥٧) : ٢٠٣ . |

.../...

وغيراً له ، وحالاً فيه وغير متعلق بمعلومين على سبيل التفصيل ، وإن ينون واتحدا عن ضرورة
 واستدلال ، وإن يكوم مما له ضد ينفيه ^(١) : وحجة الباقلاني أن ليس الشاهد والوجود
 دليل على وصف ما وصفه المستزلة فقد يوجد إنسان لا من نطفة ، وطائر لا من بيضة ، وإن لم
 نشاهد ذلك ولم ندره فيما يجرى أمامنا . ثم هل يستطيع الواحد المحدث أن يحيل حياً
 عالماً قادراً بنفسه ؟ ويعتمد الباقلاني أن المحدث لا يستطيع أن ينفي وجود القديم تعالى ^(٢) ،
 وإذا كان الباري عالماً فهو ذو علم فمن يكون على هذا الوصف يتصف به ، لأن كل عالم فهو
 ذو علم وكل ذي علم فهو عالم . والباري سبحانه عالم فهو ذو علم لأن الشاهد يوجب أن يكون
 ذا علم ^(٣) .

(٢) كلام الله تعالى : (في نفي خلق القرآن) :

لنفي خلق القرآن يعتمد الباقلاني على القرآن في آيات منه تعالى ^(١) إنما قولنا لشيء
 إذا أردناه أن نقول له كن فيكون ^(٢) ، وهذه طريقة أهل السنة في الاستدلال وذلك باعتمادهم
 على النص الإلهي للبرهان وكثيراً ما يلجأ الباقلاني إلى هذه الطريقة ، ثم يعتمد إلى قياس
 الشاهد على الغائب في برهان أن القرآن كلام الله ، فالمخلوق في ندره ، لا بد أن يكون
 جسماً قائماً بنفسه أو عرضاً مفعولاً في غيره . والقرآن يستحيل عليه أن يكون جسماً كما لا يجوز أن
 يكون قائماً بنفسه ، ويكون كلاماً ليس له متكلم . فالجسم في الجنس لا يختلف عن الأجسام الأخرى
 فلو كان الجسم كلاماً لخالق أو مخلوق لكان مشتركاً مع هذه الأجسام الأخرى في الكلام ^(٥) .

ويستحيل أن يكون القرآن عرضاً ، فقد يكون لك سبحانه الفاعل له في نفسه أو في
 غيره ، أو لا في مكان . فالله لا يفعل في نفسه لأنه ليس محلاً للحوادث ، ولا يفعل في غيره
 لأن ذلك يوجب أن يكون عفة أو كلاماً لمن خلق فيه ، فالقرآن يصح عفة للمحل المخلوق فيه .
 ثم أنه لا يخلقه لا في شيء لأنه لا يجوز أن تحمل الصفات الصفات ^(٦) . ولما لم يجز أن يكون
 كلام الباري صفة لغيره وكلاماً لغيره فإنه لم يجز أن يكون مخلوقاً في غيره . فلو كان مخلوقاً

- (١) التمهيد (طبعة ١٩٥٧) : ٢٠٣ .
- (٢) التمهيد (طبعة ١٩٥٧) : ٢٠٣ .
- (٣) التمهيد (طبعة ١٩٥٧) : ٢٠٤ .
- (٤) سورة النحل : ٤٠ ، التمهيد (طبعة ١٩٥٧) : ٢٣٧ .
- (٥) التمهيد (طبعة ١٩٥٧) : ٢٣٧ .
- (٦) التمهيد (طبعة ١٩٥٧) : ٢٣٨ .

لوجب ان يكون عرضا والضرر يقني في ثاني حال حدوثه مما يوجب فناؤه تلام الله ويوجب
ايضا ان لا يكون البارئ تعالى آمرا بشيء ولا ناهيا عن شيء وهذا باطل في اعتقاد
الباقلائي (١).

من ناحية اخرى لو كان تلام الله مخلوقا لكان من جنس تلام المخلوقين وغيره
عن حروف المعجم التي يعرفها المخلوق ولكان المخلوق يقدر على ايجاد مثله الا انه في
رأى الباقلائي لا يستلزم وقد اتى بنصر قرآني ينفي استطاعة المخلوق على ايجاد ~~مثله~~ قل
لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل القرآن لا يأتون بمثله (٢).

وتعتقد المعتزلة ان البشر قادرون على خلق ما سواهم واحسن منه : من حطابة
ونشره ونظامه وقد يأتون بمثل القرآن لولا جهلهم بديقية نظام مثله ، الا ان الباقلائي يقابل
حجتهم هذه بان الخلق لا يقدر على اكتساب العلم وترتبه الجهل لان الله الذي يخلق فيهم
القدرة هو قادر على ان ينسبهم اياها فلا يستطيعون (٣) . ويمرود الى النص لا ليهي ليثبت
ان القرآن غير مخلوق لقوله تعالى ~~لا اله الا له الخلق والامر تبارك الله~~ (٤) . ولو كان مخلوقا
لكانت الآية وردت "الا له الخلق والخلق" وهذا في اعتبار الباقلائي عي مستهجن (٥) والله
تعالى اذا اراد ان يخلق شيئا فانه يقول له "كن" فلو كان كلامه مخلوقا لكان قائلا له "كن"
كما اخبر عن فعل الخلق وقد احتجت المعتزلة على قوله "كن" فقد يكون قصد بهذا تلمة اخرى
مجازا واتساعا الا ان الباقلائي يقول ان الامور التي وصفت بالكلام والقول والاخبار : منها ما هو
حيوان يعلم بدليل قاطع انه غير ناطق فيجب صرف وصفها بالقول والاخبار والشئ الذي
الفيجاز ، واما البارئ سبحانه فهو حي لا يستحيل عليه ان يكون متكلما وقائلا ، فيصرف نفسه على
الحقيقة لا المجاز (٦) .

- (١) التمهيد (طبعة ١٩٥٧) : ٢٣٨ .
- (٢) سورة الاسراء : ٨٨ ، التمهيد (طبعة ١٩٥٧) : ٢٣٩ .
- (٣) التمهيد (طبعة ١٩٥٧) : ٢٤٠ .
- (٤) سورة الاعراف : ٤٠ . التمهيد (طبعة ١٩٥٧) : ٢٤٠ .
- (٥) التمهيد (طبعة ١٩٥٧) : ٢٤٠ .
- (٦) التمهيد (طبعة ١٩٥٧) : ٢٤٢ .

(٣) ارادة الله (لجميع المخلوقات) :

يقول الباقلاني ان الله يريد ~~ويعلم~~ ^(١) ~~فعال لما يريد~~ . يريد الملائكة ويريد المدعية وسائر المخلوقات لقوله تعالى ~~لو شاء الله ما فعلوا~~ ^(٢) . وقوله ~~ولو شاء ربك لآمن من نفسي~~ الارض كلهم جميعا ^(٣) . ويقول الباقلاني ان ما يدل على ان الله تعالى يريد لجميع افعال العباد ، فلو لم يذن مردها للحق العجز والتقصير كخلقها ، ويصحب بالتالي لا فرق بين فعل نفسه وفعل خلقه الذي جعله لهم كسبا ^(٤) . وهذا ما نفاه الباقلاني ، قاله يعلوعن ذلك ^(٥) ، وهو يريد لكل شيء ، وقد يأمر بما لا يريد ، وهذا ما اتفق عليه سلف الامة ، ومع ذلك يكون حكيم ، فقد امر ابراهيم بذبح اسماعيل ، ولم يرد ذلك منه ، فلو فعل ابراهيم وذبح اسماعيل لما كان لافتداء اسماعيل معنى ^(٦) . واذا كان الله تعالى لا يحب الفساد لان الله لا يريد ديننا وصلاحا ، فهو لا يحبه من اهل الصلاح ، وان احبه ان يكون من اهل الفساد ^(٧) ، لربما للموعظة والحكمة ، فانه اذا اراد الفواحش مع ذمه لها فقد ذم الذين يتصفون بالانحراف ويأتون فاحشة فهو تعالى يحب فيهم الهداية ويرى بقذف المحرمات ليس صوابا ، فهذا اتهام فاحش من فاحشين لاهل الطهارة ^(٨) .

(٤) الاستعانة : (القدرة الالهية ، والقدرة الانسانية) :

يعتبر الباقلاني ان الانسان مستطيع لاسبه يعرف الفرق بين قيامه وقعوده وكلامه . اذا كان واقعا بحسب اختياره ، وبين ما يضره الى من الزمانة والمرور والحركة ، فكسب الانسان ليس بنفسه ، ولكن بقدرة تحدث له . وهذه القدرة تأتيه من الله تعالى ، فهو قادر على الحركة مرة ، وغير قادر عليها مرة اخرى ^(١) ، والانسان يستطيع القدر في حال اتسابه القدرة ولا يقدر

- (١) سورة هود : ١٠٧ ، التمهيد (طبعة ١٩٥٧) : ٢٨٠ .
- (٢) سورة الانعام : ١٣٧ ، التمهيد (طبعة ١٩٥٧) : ٢٨٠ .
- (٣) سورة يونس : ٩٩ ، التمهيد (طبعة ١٩٥٧) : ٢٨٠ .
- (٤) التمهيد (طبعة ١٩٥٧) : ٢٨١ .
- (٥) التمهيد (طبعة ١٩٥٧) : ٢٨١ .
- (٦) التمهيد (طبعة ١٩٥٧) : ٢٨٢ .
- (٧) التمهيد (طبعة ١٩٥٧) : ٢٨٤ .
- (٨) التمهيد (طبعة ١٩٥٧) : ٢٨٥ .
- (٩) التمهيد (طبعة ١٩٥٧) : ٢٨٦ .

عليه قبل حصول القدرة فيه ، فالقدرة على اكتساب عذر من الاعراض لا يمكن ان يبقى زمانين . ولو وجد الفعل في ثاني حال حدوث القدرة لكان بقدرة معدومة وهذا محال ، وبالتالي يجوز ان يقح العذر بحرارة معدومة ، ويجوز ان يفعل الانسان فعله قبل كون هذا الفعل فيصبح مستغنيا عن ربه ، فلا يعنه على الفعل ولا يحتاج اليه . واذا استغنى الانسان عن معونة الله في حال الفعل ، فهو يستغنى عندها في حال عدم الفعل . ونستنتج ان الاستطاعة تكون مع الفعل للفعل وان القدرة هي حادثة مما يبطل التفسير في فعلها (١) .

ثم ان القدرة الحادثة المحدثه المكتسبة لا يمكن ان يقدر بها الانسان على مقدورين فاذا قدر الانسان منا على الفعل قبل حال حدوثه فهو لا يقدر على تركه (٢) . كما لا يجوز ان يقدر الانسان على الشيء في كل مرة " فاذا قدر عليه في حال حدوثه " (٣) فهو لا يقدر في حالات ثمانية وثلاثة . والا جازله ان يقدر قبل حدوث الفعل وبعد موافق كل وقت .

وبالباقي يعتد ان الله يكلف العباد ما لا يطيقون . لقوله تعالى : لا يستطيعون سماعاً (٤) وقوله : ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء ولو حرصتم (٥) ، لقد امر الله بالعدل بينهن وواجهه مع اخباره ان المدافعين لا يستطيعون ذلك ، وان كان الباقي قد تناول هذه المسألة مع المعتزلة - وقد اشرنا اليها (٦) - الا انه لم يفصل الكلام كما فعل في هذا الفصل ، فهو يقسم الكلام في عدم الطاقة الى قسمين : الاول وقد قصد به عدم القدرة على الفعل ، والثاني قصد به عدم القدرة مع وجود عدها من العجز ، وهذا لا يجوز عليه التكليف بينما الاول يجوز عليه ، وقد تكون الآية لا يستطيعون سماعاً تنطبق على القسم الثاني والآية (٧) ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء ولو حرصتم تنطبق على القسم الاول الذي اراده الباقي .

- (١) التمهيد (طبعة ١٩٥٧) : ٢٨٧ .
- (٢) التمهيد (طبعة ١٩٥٧) : ٢٨٨ .
- (٣) التمهيد (طبعة ١٩٥٧) : ٢٨٨ .
- (٤) سورة الكهف : ١٠١ ، التمهيد (طبعة ١٩٥٧) : ٢٩٤ .
- (٥) سورة النساء : ١٢٩ ، التمهيد (طبعة ١٩٥٧) : ٢٩٤ .
- (٦) اثار الاحدب رئيس معتزلة بخداد مسألة التكليف في مجلس عرض الدولة في شيراز ، وقد تناولتها بالبحث في مكان آخر من الرسالة .

وعلى هذا يعتبر الباقلاني ان الانسان ليس فاعلا للحوادث ، وان الله هو الذي يفعلها وبذلك يبالغ القول بالتردد . فالالم الناتج عن الضرب - والكسر الحادث عند النج ، وذهاب الحجر في الاتجاه المعين عندما ندفعه ، حوادث يفرد بها الله تعالى دون غيره وهي ليست متولدة عن افعال مكتسبة من العباد ^(١) . ويرفض الباقلاني ان تكون هذه الحوادث ناتجة عن افعال العباد كما يدعي المعتزلة ، لان هذا يتنافى مع فكرته الاشعرية ، فهو يعتبر ان الله تعالى حين يجري العادة ، فقد يتألم كثيرا من يتلقى ضربا يسيرا ، وقد لا يتألم من ضرب ضرا شديدا ^(٢) . والمعتزلة التي تدعي ان الحوادث من فعل الانسان تعتقد ان من يتلقى ضربا يسيرا يشعر بألم يسير ، ومن يتلقى ضربا شديدا يشعر بألم شديد . وان جرى العادة من الله تعالى فوافساد للدلالة فطريقة الباقلاني الاشعرية في الاستدلال قد تخرج به على الدليل العقلي الصحيح . الا ان الباقلاني يعتبر ان جرى العادة من الله تعالى ليس افسادا للدلالة ولا هي خرق على الدليل العقلي بل ان الاعتماد على دلالة الاعراض هو اعتماد فاسد وليس من الدليل العقلي لان الاعراض تفسد ولا يجوز تعاقب الواحد منها الى اخر والا اوجبوا - ويقصد المعتزلة - حدوث الموت عند الضرب وقد لا يحدث واللذة عند الحكمة وقد لا تحدث وكذلك الشبح والرى والاسكار ^(٣) .

لقد ثبت لدى الباقلاني عقليا ان الله قادر على فعل جميع الانفعال التي يكتسبها العباد فمن غير المعقول ان يكون الله غير قادر على جميع الانفعال التي يكتسبها العباد . ولو لم يقدر عليها مع قدرته على مثلها لوجب عجزه عنها ، فافعال الخلق مقدورة له وحين تعمل تكون افعالا له ^(٤) . وما يدل ايضا على ان افعال العباد مخلوقة من الله تعالى لوقوعها على احكام واوصاف وحقائق لا يعلمها العباد فهي اعراض واجناس مختلفة ، وادلة على ما هي عليه وموجودة على صفة دون صفة ^(٥) . يقول تعالى **﴿والله خلقكم ربما تعملون﴾** ^(٦) .

- (١) التمهيد (طبعة ١٩٥٧) : ٢٩٦ .
- (٢) التمهيد (طبعة ١٩٥٧) : ٣٠٠ .
- (٣) التمهيد (طبعة ١٩٥٧) : ٣٠١ .
- (٤) التمهيد (طبعة ١٩٥٧) : ٣٠٣ .
- (٥) التمهيد (طبعة ١٩٥٧) : ٣٠٣ .
- (٦) سورة المافات : ٩٦ ، التمهيد (طبعة ١٩٥٧) : ٣٠٤ .

واما الانسان في رأي الباقلاني " لا يقدر على الفعل الا في حال وجوده " ولا يجوز ان يكون فعل الانسان مقدورا من الله والانسان معا ، يفعله تارة ويتركه اخرى كذلك الله تعالى يفعله تارة ويتركه اخرى . لان من يقوم بالفعل لا يتركه فان تركه لا يكون موجودا (١) .

ولذلك ليست افعال العباد خلق لهم لان الله هو الخالق لها وهو خالق قصد العباد اليها وكذلك هو التارك لخلقها في حال انصرفهم عنها واعراضهم عن القصد الذي اكتسابها . وهذا يكون هو الامر الناهي يعاقب ويثيب . فالخلق مستحيل من العبد وان كان لا يستحيل عليه الكسب ، فالعبد يكتسب ما نهي عنه وما امر به (٢) .

ويعرف الباقلاني الكسب " بتصرف في الفعل بقدرة تقارنه في معمله فتجعله بخلاف مقبلة الضرورة من حركة الفاعل وغيرها " (٣) . فحركة اليد المختارة تختلف عن حركة الارتعاش من الفاعل فالأولى حركة كسب والثانية حركة ضرورة .

ز) الكلام في قضاء الله تعالى :

(١) في المعاصي :

يقول الباقلاني ان الله قضى المعاصي وقدرها بمعنى انه خلق العصيان وجعله بحسب قصده . (٤) .

(٢) في الارزاق :

يعتقد الباقلاني مع الاشعرية بان الله يرزق الحلال والحرام لقوله تعالى ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يَحْيِيكُمْ﴾ (٥) . ورزقه الحرام بان يجعله غذاء للابدان وقواما للجسام لا على معنى التمليك والاباحة لتناوله (٦) .

- | | |
|-----|---|
| (١) | التمهيد (طبعة ١٩٥٧) : ٣٠٦ . |
| (٢) | التمهيد (طبعة ١٩٥٧) : ٣٠٧ . |
| (٣) | التمهيد (طبعة ١٩٥٧) : ٣٠٧ . |
| (٤) | التمهيد (طبعة ١٩٥٧) : ٣٢٥ . |
| (٥) | سورة الرزم : ٤٠ ، التمهيد (طبعة ١٩٥٧) : ٣٢٨ . |
| (٦) | التمهيد (طبعة ١٩٥٧) : ٣٢٨ . |
- ... / ...

(٣) في الاسعار :

ويعتقد الباقلاني ان الغلاء والرخس في الاسعار من الله تعالى الذي يخلق الرغبة في الشراء . فالله طبع الخلق على حاجتهم الى تناول الاغذية ، فالغلاء والرخس يعود الى مدى استيلاء الناس للاغذية وليس عائد الى السلطان فلو ماتوا من قلة الغذاء لا يكون السلطان امامهم وانما الله الذي طبع الخلق على احتياجهم الى الغذاء . (١)

(٤) في الاجال :

والانسان في اعتقاد الباقلاني يموت باجله المقدور له لقول الله عز وجل (فاذا جاء اجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون) (٢) . واجل الموت غير وقت الموت كما ان اجل الدين هو وقت حلوله . (٣)

(٥) في الهدى والضلال :

وكذلك يعتقد الباقلاني بان الله يهدي المؤمنين ويضل الكافرين ، فيخلق بالمؤمنين هداياهم ، وينور بالايان قلوبهم كما يخلق بالكافرين ضلالهم فلا يوفقهم ، ويغيب عليهم عدوهم ويعدم بهم القدرة على الاهتداء (ويضل الله الغالين) (٤) . وليست الهداية هي الحكم والتسمية فلا يمين المبتدون على انفسهم بهذه المنة ولو كانت منة لكان لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان يمين بها عليهم كما يمين الله بها عليهم . (٥)

(٦) في اللطف الالهي :

ويعتقد الباقلاني ان في قدرة الله تعالى لافا لولطفه بها على الكافرين لامن من في الارض على ان يجعلهم مؤمنين وهو قادر على ان يجعلهم كافرين . (ولو شاء ربك لامن من في الارض كلهم جميعا) (٦)

- | | |
|-----|---|
| (١) | التمهيد (طبعة ١٩٥٧) : ٣٣٠ . |
| (٢) | سورة الاعراف : ٣٤ ، التمهيد (طبعة ١٩٥٧) : ٣٣٤ . |
| (٣) | التمهيد (طبعة ١٩٥٧) : ٣٣٢ . |
| (٤) | سورة ابراهيم : ٢٧ ، التمهيد (طبعة ١٩٥٧) : ٣٣٥ . |
| (٥) | التمهيد (طبعة ١٩٥٧) : ٣٣٥ . |
| (٦) | سورة يونس : ٩٩ ، التمهيد (طبعة ١٩٥٧) : ٣٣٨ . |
- ... / ...

(٧) في التعديل والتجوير :

ويجوز على الله ان يؤلم الاعمال من غير عود وان يأمر بذي السيوان وان يؤلمه دون نفع يعود الى السيوان ، وان يسخر بعض الحيوان لبعض وان يكلف عباده ما لا يطيقون . وهذا مما يسميه الباقلاني حكمة من الله ارادها فكانت . وسمى فعله عدلا وان كان العباد يرون في هذه الاعمال قبيحا ، لان الله تعالى نمانا عن فعلها فجعلنا قبيحة فيها لوقام بهذا السبب (١) .

والله تعالى يستأج ان يؤلم سائر الانبياء وينعم سائر الكفرة والعاصين وقد ينصّل هذا قبل نزول النبوة عليهم وقبل ارسال الرسل ولكن الله تعالى لا يذب المؤمنين لمفسر ورد على لسان النبي صلى الله عليه وسلم ولاجماع المسلمين " في اخبار علموا قصده به ضرورة الا ان ذلك لا يكون " (٢) .

ولا يجوز على الله الكذب ، فالصدق من صفات نفسه فمن يتصوّر بأنه قادر عالم وهذا من صفات النفس استحال عليه العجز والجهل والكذب وقد يبيح بالكذب لتخليص النفس فمن كان في دار حرب وكان خائفا يباح له (٣) .

(ج) منزلة المخلوق عند الخالق :

(١) في معنى الدين :

ومعنى الدين عند الباقلاني يكون بمعنى الجزاء او بمعنى الحكم او بمعنى الدينونة بالمذاهب والمال الاخرى او بمعنى الانقياد والاستسلام لله عز وجل (٤) . والمتدين هو المنقاد المستسلم لله تعالى .

(٢) في معنى الايمان :

يعرف الباقلاني الايمان بالتصديق بالله تعالى وهو العلم به . والتصديق يوجد بالقلب وقد اعتمد على اللغويين في تحديده للايمان وعلى النحويين في تحديد معنى تصديق ~~الامر~~ وما

- (١) التمهيد (طبعة ١٩٥٧) : ٣٤١ .
- (٢) التمهيد (طبعة ١٩٥٧) : ٣٤٣ .
- (٣) التمهيد (طبعة ١٩٥٧) : ٣٤٣ .
- (٤) التمهيد (طبعة ١٩٥٧) : ٣٤٤ .

انت بمؤمن لنا ولو كنا بصادقين (١) . اى ما انت بمصدق لنا . فمعنى الايمان في الشريعة هو معنى الايمان في اللغة لان الله تعالى ما غير لسان العرب ولا قلبه (٢) .

(٣) في معنى الاسلام :

والاسلام في تحريف الباقلاني هو الانقياد والاستسلام ، والايمان خصلة من خصال الاسلام ، وكل ايمان اسلام وليس كل اسلام ايماناً . لقوله تعالى ~~فالت الاعراب آمنا~~ ، قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا (٣) .

(٤) في معنى الكفر :

والكفر عند الباقلاني هو ضد الايمان وهو الجهل بالله عز وجل والتكذيب به . فعبادة الافلاك والنيران واستحلال المحرمات وقتل الانبياء وما جرى مجرى ذلك مما ورد به التوقيف ومع الاجماع على انه لا يقع الا من كافر بالله (٤) .

(٥) في تسمية الفاسق الملي :

ويسمى الباقلاني الفاسق الملي مؤمناً ففسقه لا يتضاد مع ايمانه ، لان عمل الجوان غير الاعتقاد بالقلب ، ولان الشئين انما يتضادان في محل واحد . فالفاسق هو الذى يصدق بالله ويؤمن به ويعزم على محبته ، كما انه يصدق بالنبي صلى الله عليه وسلم ولا يتبعه (٥) .

(٦) في الوعد والوعيد :

ويجوز على الله في رأى الباقلاني ان يعفر عن جميع الذنوة والظرة ويدخلهم الجنة فافعال العباد جعلها الله تعالى دليلاً على ما قسمه لهم في الجنة او في النار ، ويحق له

- (١) سورة يوسف : ١٧ ، التمهيد (طبعة ١٩٥٧) : ٣٤٦ .
- (٢) التمهيد (طبعة ١٩٥٧) : ٣٤٦ .
- (٣) سورة الحجرات : ١٤ ، التمهيد (طبعة ١٩٥٧) : ٣٤٧ .
- (٤) التمهيد (طبعة ١٩٥٧) : ٣٤٨ .
- (٥) التمهيد (طبعة ١٩٥٧) : ٣٤٩ .

ان يحاقب الكافر الا انه اذا تغفل وتركه فهو فضل منه بانعام غير مستحق ، قاله يحسن العفو عن الذنب وقد امرنا به وحضنا عليه ~~والداظمين~~ ~~والعائنين~~ ~~عن الناس~~ ^(١) . الا ان الله تعالى لا يعفو عن الكافرين لجنم النبي صلى الله عليه وسلم بالاخيار : ان الذافر مصيره الى النار . ولاجماع المسلمين الذين لا يجوز عليهم الخطأ : ان الله لا يعفو عن الكافرين . وقد تواترت الاخبار في ان جميع القاري النار خالدون فيها ^(٢) . واما مقلد الذافر في اعتقاد الباقلاني يكون كافرا او غير كافر ولا ثبات كفره او ايمانه تستدل بالنظر دون الترتيب على ما اتى به النبي والخبر الذي اجمع عليه المسلمون ^(٣) . واما في المذهب من اهل ملة الاسلام فيجوز العفو عنه من الله ومن غيره ، وان لم يرد توقيف ائمتنا اليه ^(٤) ان الله لا يغفر ان يشر به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ^(٥) .

(٧) في الشفاعة :

ويجوز الغفران لعامة اهل الملة من الاسلام وقد ورد في الاخبار الثابتة في شفاعة الرسول صلى الله عليه وسلم في اهل الكبائر " ادخرت شفاعة لاهل الكبائر من امتي " وقد روى هذا الخبر عن النبي مالك بن انس وعابر بن عبد الله ، ورواه عبد بن حماد وغيرهم ^(٥) .

ويقول الباقلاني ان الاخبار في الشفاعة اكثر من ان يؤتى عليها وهي كلها متواترة متوافقة على خروج الموحدين من النار بشفاعة الرسول وان اختلفت الفاظها . وقد اطبق سلف الامة على تسليم هذه الرواية وصحتها مع ظهورها وانتشارها والعلم بانها مروية في الصحابة والتابعين ^(٦) . وان قبول التوبة من الله تعالى تغفل على العباد . وهذا الفضل له ان يفعل له ان لا يفعل له .

- (١) سورة آل عمران : ١٣٤ ، التمهيد (طبعة ١٩٥٧) : ٣٥١ .
- (٢) التمهيد (طبعة ١٩٥٧) : ٣٥٢ .
- (٣) التمهيد (طبعة ١٩٥٧) : ٣٥٣ .
- (٤) سورة النساء : ٤٨ ، التمهيد (طبعة ١٩٥٧) : ٣٥٣ .
- (٥) التمهيد (طبعة ١٩٥٧) : ٣٦٥ .
- (٦) التمهيد (طبعة ١٩٥٧) : ٣٦٧ .

وقد اورد رأي المبتزلة في الشفاعة فاعتقادنا غير هذا الذي يعتقد الباقلاني " لانها
توجب قبول التوبة على الله وتعاليمه وتجوره في ردها وترك قبولها . والعقاب على ما هي توبة
منه " (١) .

(٢) في اثبات وحدانية الخالق : الرد على الملل اللاموحدة :

(أ) الصانع ليس دابية من الدبابع :

فكما ان لكل معلول علة ، كذلك للعالم صانع منعه ، وقد رفض الباقلاني ان يكون صانع العالم دابية من الدبابع ^(١) ، لان هذه الدابية قد تدون معدومة ، او تكون معنى موجودا . فان كانت معدومة لا يمكن لها ان تحدث شيئا ، فالموت لا يأتي بشيء ، واما المعنى الموجود فقد يدون موجودا عن طبيعة قديمة مثلها ^(٢) ، وهذا مرفوض من الباقلاني ، لان العالم حادث لا يشترك في القدم مع القديم .

واذا كان عن طبيعة حادثة ، فلا بد ان يكون العالم حادثا عن طبع ارعن غير طبع ، فحدوث العالم عن طبع ^(٣) ، يعود الى كون الطبيعة حادثة عن طبيعة اخرى . وهذا البرهان لا يقر وجود العالم ، فيتحول ويحدث الى ما لا غاية له ، وهذا يناقض ما اتى به تعالى من ان وجود العالم كان لغاية . اما حدوث العالم لا عن طبع فيبطل القول بالطبائع ^(٤) ، ففعل الطبائع لا يؤثر على الاشياء لانه حادث مثلها ومن كان حادثا لا بد ان يدون حادث عن قدم يستأنف الافعال بعد ان لم تكن .

(ب) الصانع ليس فلذا من الافلاك : الرد على المنجمين :

يرد الباقلاني على المنجمين القائلين ان صانع العالم هي الافلاك السبعة : الشمس والقمر ، والمريخ ، والمشتري ، وزحل ، وعطارد ، والزهرة ، فالافلاك السبعة حادثة كسائر اجسام العالم ، ويجوز عليها الحد والنداية ، والتأليف والسكون والحركة ^(٥) . ولا يجوز عليها القدم كما لا يجوز على سائر الاجسام ، لانها حادثة والحوادث لها اول وهي تنتهي ولا تستأبج ان تفعل في غيرها شيئا ولا توجد افعالها الا في نفسها ^(٦) . لذلك ليست هذه الافلاك حادثة بل معدثة

- | | |
|-----|---------------------------------|
| (١) | التمهيد (طبعة ١٩٥٧) : ٣٤ . |
| (٢) | التمهيد (طبعة ١٩٥٧) : ٣٤ . |
| (٣) | التمهيد (طبعة ١٩٥٧) : ٣٦ . |
| (٤) | التمهيد (طبعة ١٩٥٧) : ٣٧ - ٣٨ . |
| (٥) | التمهيد (طبعة ١٩٥٧) : ٤٨ . |
| (٦) | التمهيد (طبعة ١٩٥٧) : ٤٩ . |

بل ان لها محدث مدبر (١) .

ويرد الباقلاني على المنجمين الذين اعترفوا بحدوث الكواكب ، ولم يعترفوا بعجزها ، نافيا قدرة الدواكب وحركتها — فهي ميتة ليست حية غير قادرة ، ولا قاعدة الى التحرك والانتقال من بين الى آخر لان ما نعدها هو الذي يخلق السير عندها فتتفلق مسافات البروج بينها (٢) ويصدق الباقلاني ان ليس من استدلال على حياة الفلك بكبره وضخامته فعظم الجسم وعلو مكانه وشدة اشراقه لا يدل على كونه حيا . وكذلك ظلمة الجسم وصغر شأنه لا يدل على كونه ميتا كالدروالبقق (٣) .

والدواكب هذه لا تؤثر على عالمنا في اعتقاد الباقلاني — مع ان العلم اليقيني اثبت ان للكواكب تأثير على بعضها فقرب الشمس او بعد ما لا يدل على ان الحرارة والبرودة ناتجة عن هذا القرب او البعد . كما ان التسخين والتبريد غير ناتج عن مجاورة النار والثقل لها وقد عاد به هذا الى فكرة ان الله تعالى قادر على ان يجعلها كذلك اولا يجعلها فالدواكب لا تؤثر على الحوادث الارضية " لا على حسب تعلق الحكم بالعلة ونسبته اليها وذلك ككون العالم عالما " (٤) ولا " على حسب تعلق الفعل المتولد بما ولده من الاسباب " (٥) . فالكواكب حادثة من خالق اخذ منها لا ليدل بها على ما يحدث في العالم في اوقاته ، والله تعالى اخبر " عن كذب مدعي ذلك " (٦) ، فالله هو " المستبد بعلم ما كان وما يكون " (٧) . قال تعالى ﴿ وانبياءكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم ﴾ (٨) . والله تعالى جعل للانبياء فقط علم الاطلاع ، فلا احد يطالع على علم الله تعالى الا من اوحى اليه ، او من امد الله على ذلك ، فالله يعلم علم ما يكون وما كان وكل علم .

- (١) التمهيد (طبعة ١٩٥٧) : ٤٩ .
- (٢) التمهيد (طبعة ١٩٥٧) : ٥١ .
- (٣) التمهيد (طبعة ١٩٥٧) : ٥٣ .
- (٤) التمهيد (طبعة ١٩٥٧) : ٥٥ .
- (٥) التمهيد (طبعة ١٩٥٧) : ٥٦ .
- (٦) التمهيد (طبعة ١٩٥٧) : ٥٨ .
- (٧) التمهيد (طبعة ١٩٥٧) : ٥٨ .
- (٨) سورة آل عمران : ٤٩ ، التمهيد (طبعة ١٩٥٧) : ٥٨ .

ج) المتاح واحد لا اثنان : الرد على المجوس :

لا ينكر الباقلائي وجود النور والظلام من جملة العالم ، وانما ينكران يكون النور والظلام قد يمين (١) ، او فاعلين بالماضي والاختيار (٢) . وينكران يكون اصل الاجسام كلها من النور والظلام ، فالنور والظلام ليسا من اشخاص العالم ، واجسامه القائمة بانفسهما لانهما غير قائمين بانفسهما وهما من جملة الاعراض (٣) . ويعتبر الباقلائي ان الاجسام كلها من جنس واحد من حيث ان كل واحد منها يسد مسد الآخر وينوب منابه ، ويجوز عليه من الوفاء مثل ما جاز على غيره من الحركة والسكون والاجتماع والافتراق والزيادة والنقصان (٤) .

والباقلائي يأخذ على المجوس الذين يعتقدون ان النور هو الله وهو قد يم وان الظلام هو الشيطان وهو محدث (٥) . كما يأخذ عليهم عدم بيان وجود الشيطان بحجة عقلية مقنعة ، "افمن محدث محدث ام لا من محدث" (٦) . ان كيف يكون المحدث حكيماً غير سفيه . وهذه الفكرة تعارض من يقول ان الشيطان حدث من شدة شكها بعض اشخاص النور لان الشدة او القدرة اذا اراد النور ان يعاقب بها - لم يجد نوراً - فان عدمه ولها يعتبر آفة من الآفات التي تدل على نقص من تجوز عليه فكما ان الله سبحانه لا يجوز عليه الجهل والموت والفناء والنوم . وغير ذلك من الآفات فكذلك لا يجوز عليه الشدة او القدرة او القوة واذا حصل وحصلت هذه الصفات فان الله تعالى عن هذه الآفات - يجوز ان يشلو من الحياة والموت والقدرة والعجز (٧) . والباقلاني ينزه الله عن الآفات فهو الذي يحدث الشيطان كما يحدث سائر الشرور وهو حكيم غير سفيه (٨) .

اللام على سائر الملل الموحدة :

أ) تنزيه الواحد : الرد على النصارى :

يرفض الباقلائي فكرة النصارى في ان الاشياء الموجودة : اما ان تدور جوارها اراعاضاً

- | | |
|----|---------------------------------|
| ١) | التمهيد (طبعة ١٩٥٧) : ٦١ . |
| ٢) | التمهيد (طبعة ١٩٥٧) : ٦٢ . |
| ٣) | التمهيد (طبعة ١٩٥٧) : ٦١ - ٦٢ . |
| ٤) | التمهيد (طبعة ١٩٥٧) : ٦١ . |
| ٥) | التمهيد (طبعة ١٩٥٧) : ٦٠ . |
| ٦) | التمهيد (طبعة ١٩٥٧) : ٧٣ . |
| ٧) | التمهيد (طبعة ١٩٥٧) : ٧١ . |
| ٨) | التمهيد (طبعة ١٩٥٧) : ٧٢ . |

وان الجوهر الذي يصح منه الفعل ، وان العنصر ما يمتنع منه الفعل . والموجود الذي
يصح منه الافعال والمسمى بالجوهر هو الله تعالى ، ويقول ان ليس من الضروري ان توجد الاشياء
في الشاهد على هذه الصفة فتوجب بالتالي الحكم على الغائب بمجرد الشاهد (١) .

ثم ان اعتماد النصارى على فكرة الجوهر والعنصر في البرهان على وجود الله يؤدي الى
انه لا جسم الا وبعده جسم وفرقه جسم وتحت جسم ، والنتيجة تصح كالبرهان على ان لا طائر
الا من بيضة ولا بيضة الا من طائر ، وهكذا الى ما لا نهاية (٢) . وقد قسم النصارى الجوهر
الى شريف وخسيس ، فالخسيس هو الذي يقبل العنصر ويحتيز ويشغل المكان ، والشريف لا يجوز
عليه هذه الاوصاف . فالله تعالى عند هم جوهر غير متحيز وغير قابل للاعراض (٣) . وهو الجوهر
الشريف .

وتفسير النصارى هذا لم نجد له ردا من الباقلاني ، كما انه في المقابل ، لم يجد الباقلاني
تفسيرا من النصارى في جمع الجوهر العام والاقانيم الثلاثة ويقول : " ان جاز ان يكون الرابع مع
الثلاثة ثلاثة فقد انكرتم ان يكون الروح والعدم مع الاله الموجود واحدا فقط . وان يكون
اثنوما واحدا ، ولا يكون الثاني والثالث شيئا يزيد على الواحد (٤) " .

ولا يرى الباقلاني كما في اعتبار بعض النصارى ان الاقانيم من الجوهر كالصفات الالهية
من الله ، فكما ان يد الانسان من الانسان مخالفة له وغير موافقة له . كذلك الاقانيم من الجوهر (٥)
ويقول ان الصفات التي هي اقانيم لا يمكن ان يقال انه هي ، وبالتالي لا يمكن الا ان يقيس
الجوهر جوهرها والاقانيم الثلاثة ثلاثة ما يوجب اربعة معان : الجوهر وثلاثة خواص له ، وهذا
تراء للتثليث (٦) .

- | | |
|-----|----------------------------|
| (١) | التمهيد (طبعة ١٩٥٧) : ٧٥ . |
| (٢) | التمهيد (طبعة ١٩٥٧) : ٧٦ . |
| (٣) | التمهيد (طبعة ١٩٥٧) : ٧٨ . |
| (٤) | التمهيد (طبعة ١٩٥٧) : ٨٣ . |
| (٥) | التمهيد (طبعة ١٩٥٧) : ٨٥ . |
| (٦) | التمهيد (طبعة ١٩٥٧) : ٨٦ . |

وتساءل الباقلاني في معنى الاتحاد وفي ديفية تمامه ، وهل كان موجودا في حال وقوع قتل المسيح وصلبه ؟ بينما يعتبر النصارى ان الاتحاد يتم بين اقانيم : الوجود والعلم والحياة ، ونحو "فعل من الافعال صار به المتحد متحد والمسيح مسيحا" (١) . الا ان - الباقلاني - يعجب للقتل الذي يقع بابن الله القديم ، فلم يجد لهذا القتل تعليلا في ذاته ، وهو المسلم الذي يؤمن بغير هذا الايمان ، كما انه لم يجد حجة من خصمه يقنعه بها ، وهو المسلم يعتقد بالقدرة الالهية التي تتدخل في الاشياء فتغيرها من حال الى حال . والمسيح - بالبيعته : اللاهوتية والناسوتية ، يقتل ويصلب ، ويجوز عليه الموت فاذا "صار الابن عند القتل ميتا لم يجز ان يكون في تلك الحال الها ، لان الاله لا يذون ميتا ولا ناقما" (٢) . ولما لم يجد فكاه من وجود الاتحاد عند القتل والصلب ، يحاول الباقلاني ان ينزه المسيح عن هذه الآفات وذلك لمكانته المقدمة لديه فالمقتول يجب الا يكون هو المسيح ، لان الجسد عند مفارقه الاتحاد ليس جسد المسيح ، وان المقتول المطلوب الواقع عليه الموت والدفن انسان (٣) .

واما حجة النصارى في ان كلمة الله اتحدت بجسد المسيح فيقارنوا الباقلاني بحجة اخرى - ان ليس المسيح في اعتقاده هو الله - وان اتى الله تعالى على يد به بالمعجزات التي لا يقدر بالبشر على مثلها "كاحياء الموتى ، وابراء الاكمة والابرص" (٤) ، فموسى وابراهيم وغيرهما من الانبياء اتى الله على ايد يهم بالمعجزات وايدهم من عنده ، ولم يدعوا الربوبية ، فكلما ان موسى يدعوه ، ويرغب اليه في ان يظهر ذلك على يديه ، كذلك كان حال "عيسى وانه كان يرغب الى حاله ، ورأسه وماله في ان يظهر الآيات على يديه" (٥) . وقد نطق الانجيل بذلك .

واما اسم "مسيح" فلا يعني عند الباقلاني انه دليل على لاهوته وناسوته كما ادعت النصارى ، فقد يكون اسم موسى دليلا على معنيي اللاهوت والناسوت والباقلاني في حجة هذه يفعل فعل النصارى ، فلا يعتمد على اكثر من المقابلة بينها ولا يزار ينتقد من حجة الى اخرى معترفا بنبوة الانبياء الذين جاؤوا قبل عيسى وراميا من وراء اعترافه بهذا ان يثبت نبوة عيسى

- (١) التمهيد (طبعة ١٩٥٧) : ٩٢ .
- (٢) التمهيد (طبعة ١٩٥٧) : ٩٧ .
- (٣) التمهيد (طبعة ١٩٥٧) : ٩٨ .
- (٤) التمهيد (طبعة ١٩٥٧) : ٩٨ .
- (٥) التمهيد (طبعة ١٩٥٧) : ٩٩ .

ليثبت بالتالي نبوة محمد وعنده فكرة اسلامية ، تنفي التثليث عن الآله وتنزه المعبود من الآفات
الدينية وتجعل من عيسى نبيا كغيره من الانبياء والرسل (١) .

(ب) في وجوب ارسال الرسل : الرد على البراهمة :

يرد الباقلائي على البراهمة الذين جحدوا على الله تعالى ارسال الرسل ، ان ليس
صحيحا في اعتقادهم ان يبعث الله رسولا الى خلقه ، يكون من جنس المرسل اليه ومن موطنه
فلماذا يتفضل الواحد على الآخر (٢) . وان رفض دعوة هؤلاء فلان الله تعالى يفعل بعينه ما يشاء
على بعض ويرفع بعضهم دون بعض ، وتغنيله هذا ليس ظلما للبعض ولا جورا لهم ، بل من الحكمة
ان يكلم الله من يشاء من خلقه (٣) .

وان كان سبحانه " يخلق في بعض عباده الجسد ، وفي بعضهم القوة والتمكين ، وصحة
الآله ، وكمال العقل ، والنخبة والحس " (٤) . فالعقل لا يدل محل الرسل كما يدعي البراهمة
وان هو الطريق " الى العلم بقبي فعل او بحسنه " (٥) فهذا الادعاء مرفوض من الباقلائي لاعتقاده
بان الشرع واجب في حكمه لاثبات الافعال بدل العقل ، كما ان الاعتماد على العقل وحده كطريق
الى العلم في حال عدم وجود الرسل مرفوض من الباقلائي ايضا لاعتقاده اننا لا نستطيع معرفة
الاحكام فيما اذا كانت قبيحة او حسنة " الا بالشرع دون قضية العقل " (٦) . وقد اجاب الباقلائي
على البراهمة افتراضا لدعوتهم هذه ، التي تنفي ارسال الرسل على الله ، فانه تعالى يتحكم عليه
ان لا يفعل شيئا لا لجلب منفعة ، او دفع مضرة ، او دفع بدعوة الى فعل هذا ، وبالتالي فهو
جسم مؤلف ذو حيز ، يقبل العرض وهو في مكان دون مكان . وليس هو شي ، ولا فاعل ، ولا
عالم ، ولا حي قادر ، فبذلك الدعوة التي تبطل من الله بسماء مؤلفا ذو حيز يقبل العرض وينتقل في
المكان هي دعوة الدهرية فاذا قبلها البراهمة لحقوا بهم واذا رفضوها نقضوا استدلالهم بمجرد
الشاهد والوجود (٧) .

- | | |
|-----|-----------------------------------|
| (١) | التمهيد (طبعة ١٩٥٧) : ١٠٠ - ١٠١ . |
| (٢) | التمهيد (طبعة ١٩٥٧) : ١٠٤ . |
| (٣) | التمهيد (طبعة ١٩٥٧) : ١٠٥ . |
| (٤) | التمهيد (طبعة ١٩٥٧) : ١٠٦ . |
| (٥) | التمهيد (طبعة ١٩٥٧) : ١٠٥ . |
| (٦) | التمهيد (طبعة ١٩٥٧) : ١٠٥ . |
| (٧) | التمهيد (طبعة ١٩٥٧) : ١٠٧ . |

ثم انه اذا كان الاعتماد على العقل دون السمع ، فكيف يدرك العلم بوجود الصلاة ، وتقديرها والزكاة ونصابها ، " وحسن ايجاب الدية على العاقلة ، وتبيل الحجر ، والسعي بين الصفا والمروة وقبح شرب الخمر ، والولاء بغير عقد وقبح ترك الصلاة " (١) . فهذا لا سبيل الى وجوب معرفته بالعقل بل بالسمع . لان به يكشف عما ينال من الثواب او العقاب ، وبه يحذر الله عز وجل الجهل بوجوده " وترى الناس فيما يؤدى الى معرفته على من ذلعه ذلك من خلقه " (٢) .

ج) في وجوب نسخ الشرائع : الرد على اليهود :

يرى الباقلاني ان اليهود افترقوا على ثلاث فرق : ١ - الشمعونية وهي فرقة تقر بنسخ الشرائع ، وارسال نبي بعد موسى ليراز هذا النسخ عن دارين العقل ، انما تمنع هذه الفرقة نسخ شريعتها على نبي بعد نبيها وذلك لإعتقادها بتوقيف هذا النسخ من جهة الله جل اسمه (٣) . ٢ - وفرقة العنائية وهذه الفرقة تعتبر ان من المحال نسخ الشرائع سواء كان النسخ من جهة العقل او السمع لاعتمادها على السمع الذي اورد ان نسخ الشرائع محال من الجهتين (السمع والعقل) . ٣ - واما الباقرن وهم الفرقة الثالثة - في رأى الباقلاني - فتعتقد نبوة كل من يأتي بعد موسى ، وان عيسى ومحمد نبيان اذقان ، وانما ارسال الى قومهما ، ولم يرسلوا بتبديل شريعة موسى (٤) .

فالفرق اليهودية الثلاث قد تختلف على من جاء بعد موسى فمنها من يقر ومنها من لا يقر بنبوة عيسى ومحمد والانبياء الاخرين ، بينما تؤمن هذه الفرق جميعها بنبوة موسى ، وما ظهر على يديه من الاعلام المعجزة : كفلل البحر ، واخراج اليد بيضاء ، وغير ذلك من اعلامه (٥) . وقد تناقل اليهود اخبار هذه المعجزات خلفا عن سلف ، مما اوجب محبتها بالرغم من انكار المجوس والبراهمة لها وانكارهم بالتالي نبوة موسى ، الا ان اعتبار الباقلاني للخبر صحيح اذا استوى اوله وآخره ، ووسطه والرفاه ، مما يثبت صحته ، ويوجب العلم بصدق نقلته ، وان خالف في ذلك

- | | |
|-----|-----------------------------|
| (١) | التمهيد (طبعة ١٩٥٧) : ١٢٤ . |
| (٢) | التمهيد (طبعة ١٩٥٧) : ١٢٦ . |
| (٣) | التمهيد (طبعة ١٩٥٧) : ١٦٠ . |
| (٤) | التمهيد (طبعة ١٩٥٧) : ١٦٠ . |
| (٥) | التمهيد (طبعة ١٩٥٧) : ١٦١ . |

(١) مخالفون . وعلى هذا يقابل الباقلاني حجة اليهود في اثبات نبوة نبيهم بحجة له في اثبات نبوة محمد ، والسمجة واحدة من حديث البرهان على النبوة ، فكما ان المعجزات على يد موسى تتناقلته الاخبار وتحدى به ، فكذلك النبي محمد ظهر المعجز على يد به ، وتناقلته الاخبار وتحدى به (٢) وكما اقر الباقلاني بنبوة موسى ليثبت نبوة محمد ، عاد واثبت نبوة عيسى - وقد ذكرنا هذا في حينه - وان انكرها بعض اليهود كما انكروا نبوة محمد ، الا انه يأخذ على النصارى القول بالتثليث ، كما اخذ على اليهود القول بالتشبيه والتجسيم (٣) ، فتثليث الآلهة ينفيه الباقلاني ، لان الاسلام لا يعترف به ، وينفي تشبيه الآلهة وتجسيمه ، ويعتبر ان النصارى تأولت التثليث فأخذت ، ودرست للحلول والاتحاد والجدول والاتقانيم : الامثال . فأخطأت ايضا ، ولكنهم - والرأى للباقلاني - نقلوا اخبارا صحيحة عن المسيحي في ابراء الائمة والايرون .

وقد رأى الباقلاني وجوب تصحيح اعلام النصارى لاعتماده على فرقتي العيسرية والدروسية من فرق النصارى الذين يعتقدون بان عيسى . وابن الله على حجة الاختصاص والاكرام (٤) ، كما يرى وجوب تصحيح اخبار اليهود المتناقلة عن موسى ، فالقول لا يمكن ان تقبل ما تناقلوه لقرلمم بتشبيه الله وتجسيمه ، فالله تعالى لا يمكن ان يكون جسما ذو صورة متناه محدود ، وليس هو كما في نظريتهم . ابيهم الرأس والمذبة ، وليس هو موما محزون لما عليه العباد من الظلم والفساد في الارض (٥) .

اما شروط النقل المتواتر عند اليهود في ان : لا يحصر النقلة عدد ، وان لا يحويهم بلد . . . وان يتفاير آباؤهم ، وان تختلف انسابهم ، وتتفرق دواعيهم وهممهم واغراضهم وان تختلف مللهم ودانائهم ، والا يحملوا على نقلهم الاخبار بالسيف ولا يضمنوا الى خبرهم ما تعمله العقول . وان يكونوا في دار ذلة ، وان تؤخذ منهم البزية . (٦) فهذه الشروط ينقضها الباقلاني ، لان الاخبار في رأيه قد تكون غير صحيحة اذا كان ناقل الاخبار في دار ذلة ، فمن شروط الخبر المتواتر

- (١) التمهيد (طبعة ١٩٥٧) : ١٦٢ .
- (٢) التمهيد (طبعة ١٩٥٧) : ١٦٢ .
- (٣) التمهيد (طبعة ١٩٥٧) : ١٦٥ .
- (٤) التمهيد (طبعة ١٩٥٧) : ١٦٦ .
- (٥) التمهيد (طبعة ١٩٥٧) : ١٦٦ - ١٦٧ .
- (٦) التمهيد (طبعة ١٩٥٧) : ١٧٣ .

عنده هـ ان لا يكون ناقله في دار ذلة . وعليه فنقل المسلمين والنصارى لاعلام موسى لا يكون
عن اليهود ، بل عن انفسهم لآخذهم الاعلام بالتالي عن عيسى ومحمد اللذين لم يأخذا عن
اليهود (١) .

اما تغيير الآبار ، واختلاف الانساب ، وتباعد الاوطان والديار فانه ايضا لا معنى له ،
فقد يرد الينا خبر صحيح عن مشاهدة شاهد ما اشد بلدة واحدة ، وخبر خبر به ابناء اب واحد -
والمعنى ورود الخبر عن عائلة واحدة - واما اشتراط اليهود الا يضموا الى خبرهم ما تحيلسه
العقول ، فشرط باطل يرفضه الباقلاني معتبرا ان اصل التواتر لا يبروز وقوع الكذب (٢) منهم واما
الشرعية في رأيه فلازمة ، ما لم يبعث الله نبيا تظاهر الاعلام على يديه ، ويدعو الى نسخها وتبديلها (٣)
وقد علمنا خبر النسخ بالتواتر ، فلو كان التوقيف من موسى لكان له من " التوقيف والتأيد ما رضعتم "
و" لعلمنا ذلك ضرورة ، كما علمنا وجود موسى عليه السلام ضرورة " (٤) .

كما شكك الباقلاني في نقل كلام موسى من لغة الى لغة ولا احتمال اختلاف اللفظ والمعنى
مما قد يدخل التحريف والتغيير على النص ، ولا ينفك يأتي بنصوص من التوراة والقرآن والحديث
ليبين كذب ادعاء خصومه ، وتبين رفضه لكلامهم بتوقيف النسخ وذلك لعدم ورود نص به - اذا
المعنى (٥) . وقد اورد حجة في دفاعه عن النبي محمد ، لم يستطع اليهود انكارها ، فكلام
القرآن في نظره لم يعرف ، ولم يتغير وقد ورد بلسان عربي فصيح ونقل نقلا متواترا من خلف عن سلف
وهذا بين الفرق بين ادعاء اليهود على موسى ، وادعاء المسلمين على محمد . فالنسخ المنقول
المتواتر هو الكلام الذي يكون صحيحا اذا صححت اخباره وتضمنت معارفه ، وقد بين الباقلاني
حجته بالنصوص التي وردت في هذا الشأن ، مما دفع حجة خصومه عنه ، فتابع الكلام على اليهود
مبينا انقسامهم ، بترك بعضهم للكلام الذي يدعيه البعز الآخر ، فأوجب نسخ الشرائع ، وبالتالي

- | | |
|-----|-----------------------------------|
| (١) | التمهيد (طبعة ١٩٥٧) : ١٦٧ . |
| (٢) | التمهيد (طبعة ١٩٥٧) : ١٧٤ . |
| (٣) | التمهيد (طبعة ١٩٥٧) : ١٧٤ . |
| (٤) | التمهيد (طبعة ١٩٥٧) : ١٧٨ . |
| (٥) | التمهيد (طبعة ١٩٥٧) : ١٧٩ - ١٨٠ . |

أوجب الايمان بمن جاء بعد موسى من الانبياء والرسل ، وايد كلامه هذا بما كانت قرن من اليهود قد اختلفت فيه ، فمنهم من صدق نبوة من اتى بعد موسى : كيشع بن نون ، وحزقيال ، واليسع ، وداود وسليمان ومنهم من صدق بابي عيسى الاسبغاني ، ومنهم ما زال ينتظر المسيح (١) .

فلو كان موسى قد اوقف اليهود ، ومنع نسخ الشرائع وبالتالي نسخ شريعته ببدله بنصر اتاه من عند الله (٢) ، لا بعد كل الاحتمالات المتوقعة ، ولكان هو - اى الباقلائي - اعترف بحجة اليهود ، الا ان شيئا من هذا لم يحصل وقد اورد خصومه نصوصا من حديث موسى لم يقتنع بها لشكها فيها ، وحققت حجة الباقلائي هي الاقوى لاكثرها خلوا من الشوائب في اعتقاده ولاقترباها من شروط النقل المتواتر الذي يعتبره حديدا .

ان حجة الباقلائي في تناقل الاخبار ، وفيما اورد منها ، قد تكون اقرب الى امتلاك الرأي من حجة اليهود ، وربما يعود هذا الى مقدرة الباقلائي ، في ترجيح كفته في الكلام اليه او لاعتماد حجته على الادلة التي لم يذكرها اليهود ، وان انكره وحجته في ادلتهم ، وسواء كان هذا وذا ، فان دافع الايمان ، كان قد سير الجدل بين الفريقين ، فخير الباقلائي باجوبة على خصمه لم تدع هذه الاجوبة الخصم يتاجع الكلام بعده .

- الكلام في اثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم : (٣) -

من الدلائل التي تشير الى نبوة محمد صلى الله عليه وسلم - في اعتقاد الباقلائي - ما ظهر على يديه من آيات والمعجزات القاهرة ، التي خرقت العادة ، وخرجت عن تركيب الطبيعة ، فالقرآن المرسوم في المصاحف هو من المعجزات التي اتى بها محمد ، كذلك حنين الجذع ، وكلام الذيب ، وجعل قليل العلم كثيرا ، وانشقاق القمر ، وتسبيح الخصى في يده

(١) التمهيد (طبعة ١٩٥٧) : ١٨٢ .

(٢) التمهيد (طبعة ١٩٥٧) : ١٨٢ .

(٣) تناول الباقلائي الكلام في اثبات نبوة محمد وظهر المعجز على يديه مطولا في كتاب اعجاز القرآن ، وقد بحث فيه مختلف القضايا التي يعالجها في هذا الكتاب - التمهيد - اختصارا ، الا ان مسالمة فصلها هنا في طريقة الاستدلال بوجهها " الاضطرابي والنفاري " .

وكلام الذراع له ، وفي غير هذه الآيات ، وهي من مقدورات الخالق التي تمتنع على الخلق فلا يأتيوا بمثلها (١) .

ويستدل الباقلاني على معجزة القرآن بطريقتين : ١ - طريقة الاضطراب ، ٢ - وطريقة
النظر والاستدلال ، وهذا ما لم نشاهده في كتاب الاعجاز بهذا النوع ، وان كان قد اشار
الى طريقة النظر والاستدلال ، معتبرا ان العلم بالتواتر من هذه الطريقة ، الا انه لم يأت
على تقسيم دقيق ، كما فعل في هذا الفصل من كتاب التمهيد ، حين اعتبار ان الطريقة الارلى
: العلم بظهور القرآن على يدى النبي محمد صلى الله عليه وسلم هي علم اضطراب ، من حيث
لا يمكن لاحد جرده ونكرانه ، ولا يمكن له ان يرتاب في وجوده ، كذلك ظهور النبي في مكة
والمدينة ، ودعوته الى نفسه ، ان علم ضرورة : فاليهود ، والنصارى ، والمجوس ، والمتابسة ،
والثانوية ، والزنادقة ، وكل من يدى بن غير ملة الاسام اقربان القرآن المتلوفى محارب المسلمين
ظاهر على محمد ودعا الى نفسه (٢) . وهذه حقيقة لا يجحد بها احد لخصولنا ووقعنا كما
وقعت حقيقة نبوة تيسى وموسى حين ادعى الاول الانجيل ، وادعى الثاني التوراة ، وكما اننا
لا نستطيع انكار " قتلوك " من شعراء القير وانكار " ودع هريرة ان الركب مرتحل " من نظم
الاعشى ، كذلك لا ننكر خبر ظهور القرآن (٣) .

اما المعجزات الاخرى مثل : العلم بكلم الذراع ، وتسبيح الحمى ، وحنين الجذع ، وجعل
قليل الطعام كثيرا ، واشفاق القمر ، فيمكن معرفتها بالنظر والاستدلال لان هذه المعلومات
في اعتبار الباقلاني قد تناقلتها الاخبار ، ورواها خلف عن سلف ممن شاهدوا النبي وعاصروه (٤) ،
الا ان تحليل الباقلاني هذا لا يدعمه غير طريقة النقل المتواتر والاخبار التي قد يشك البعض
في صحتها ، وان كان الباقلاني يعتمد على اساسا في اثبات حجته ، وبرهان رأيه ، وهي مع
طريقة العلم بالاضطراب تعتبر من - طرق الاستدلال الاصولية - والتي ندعوها بالطرق العقلية
الخاصة بالمكلف ، وهذا الوجه الذى استعمله الباقلاني في اظهار اعجاز القرآن هو الوجه
الاول ، اما الوجه الثاني فندعوه بالبرق المعينة المادية التي تعتمد على اظهار البناء اللغوى

- (١) التمهيد (طبعة ١٩٥٧) : ١٣٣ .
- (٢) التمهيد (طبعة ١٩٥٧) : ١٣٣ .
- (٣) التمهيد (طبعة ١٩٥٧) : ١٣٤ .
- (٤) التمهيد (طبعة ١٩٥٧) : ١٣٤ .

للقرآن بما فيه من معنى ومبنى : فقد اظهر الباقلاني اعجاز القرآن في نظامه وبراعة تأليفه وفيما اندلج عليه من اخبار الخيوط وعلمها (١) ، فمن جهة النظم وقد تحدى النبي به العرب على ان يأتوا بمثله في براعته وفصاحته وحسن تأليفه (٢) ، لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثله هذا القرآن لا يأتون بمثله ، ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً (٣) . ويقول الباقلاني انهم " لو كانوا مع ذلك قادرين على معارضته او معارضة سورة منه لسارعوا الى ذلك ولان اهون عليهم ، واخف من نصب الحرب معه ، والجلأ عن الودان ، وتحمل الاهوال والتعب على القتل وألم البرج ، واحتمال الذل والعار " (٤) .

وقد عرف عن الرسول بأنه لم يقصد اهل الكتاب ، ولم يبالسهم ، ولم ينفرد بفصيح يعليه الفصاحة ، كما عرف عن نظام القرآن بأنه لا يتسبب تعلم وتدقيق نثره ، وذلكاء وفدانة ، ومن العجيب ان يبيت الرسول وهو غير عالم بلغة الزن والترك وغيرهما من اللغات ، ثم يصح افصح الناس بثل لغة ، وهذه مبالغة من الباقلاني لا طوارمدي تأثير المعجز حين ظهر على النبي فخلل العلم فيه واقد ره عليه في يسير من الوقت ، وهو خرق للعادة ، وخرق عما هو عليه بنساء العبيدة (٥) ، قاله تعالى لا يدرى الايات الا لما نزلناه من القصد الى الدلالة على صدق الرسل عليهم السلام كما انه ليس كل من قدر على كلمة او كلمتين ، او قدر على حرف او حرفين يصح تقادرا على نظام الشعر ، ويصير شاعرا وخاليا (٦) ، وقال اعجاز يكون في نظام التلمات واحكام ره فيها ، وكونها على وزن ما اتى به النبي صلى الله عليه وسلم (٧) . وان كانت قريش افصح العرب واعرفها باللسان ، واقدرها على سائر الازان فقد دلاست عقولها ، فيما اتى به النبي من القرآن واذا قالت الاعراب (انه سحر) (٨) ، وقالت عن النبي انه معلم مجنون (٩) ، فلعجزهم عن الاتيان بمثله .

- (١) التمهيد (طبعة ١٩٥٧) : ١٤١ .
- (٢) سورة الاسراء : ٨٨ ، التمهيد (طبعة ١٩٥٧) : ١٤١ .
- (٣) التمهيد (طبعة ١٩٥٧) : ١٤٢ .
- (٤) التمهيد (طبعة ١٩٥٧) : ١٤٣ .
- (٥) التمهيد (طبعة ١٩٥٧) : ١٥٠ .
- (٦) التمهيد (طبعة ١٩٥٧) : ١٥١ .
- (٧) سورة سبأ : ٤٣ ، التمهيد (طبعة ١٩٥٧) : ١٤٤ .
- (٨) سورة الدخان : ١٤ ، التمهيد (طبعة ١٩٥٧) : ١٤٤ .

أما ما انطوى عليه من الاخبار عن الشيوب ، التي يحلم نيل عاقل عجز الخلق عن معرفتها والتوصل إليها ، وادراكها من غير علم سابق بها ، نحو قوله تعالى لا تدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين محلقين رؤوسكم ومقصرين لا تخافن (١) . وقوله لا سيئتم الجمع ويولون الدبر (٢) .

وأما ما انطوى عليه القرآن من قصص الاولين ، وسير الماعين ، واحاديث المتقدمين وذكر ما شجر بينهم ، وكان في اعمارهم مما لا يجوز حصول علمه الا لمن كثر لقاءه لاسل السير ودرسه لهذا ~~وعنايتهم~~ بها ومجالسته لاطلها ، وكان ممن يتلو الكتب ويستخرجها من العلم بان النبي لم يكن يتلو كتابا ولا يخطه بيمينه ، وانه لم يعرف بدراسة الكتب ، واخذ السير عنهم (٣) . والقرآن لا يكون معجزا عند من سمعه الا بعد ان يفحصه ويحشونه فيه ويدل به فيعرف ان محمدا سبق الى القرآن وجاء به لظهوره على يده . (٤)

من ناحية اخرى لا يوجب الباقلاني الاعجاز على التوراة والانجيل ، كما اوجبه على القرآن وحجته في هذا ان موسى وعيسى لم يتحديا اعداءهما من اهل الملل والاشواء والملحدين بمثل التوراة والانجيل — وانما فعلهما لما ظهر على ايديهما من معجزات كخلق البحر ، واخراج اليد بيضاء ، واحياء الموتى وابراء الائمة والا برى (٥) — ولو تحديا اعداءهما بالكتابين ، لوجب ان يكون ما اتيا به من ذلك معجزا . الا ان محمدا فعل ذلك اذ واتى بالقرآن وتحدى به قومه ، كما تحدى من يأتي بمثله فلم يفعلوا وقد عجزوا عنه (٦) .

- (١) سورة الفتح : ٢٧ ، التمهيد (طبعة ١٩٥٧) : ١٥٧ .
- (٢) سورة القمر : ٤٥ ، التمهيد (طبعة ١٩٥٧) : ١٥٧ .
- (٣) التمهيد (طبعة ١٩٥٢) : ١٥٩ .
- (٤) التمهيد (طبعة ١٩٥٧) : ١٥٣ .
- (٥) لقد اوضح الباقلاني هذه الفكرة في كتاب اعجاز القرآن وقد اتينا عليها في
- (٦) التمهيد (طبعة ١٩٥٧) : ١٥٣ - ١٥٤ .

(٣) الكلام في الإمامة وتنفي الخبر الباقلاني في 'الإمامة' :

تتميماً للقدرة التي بنى عليها الباقلاني كتاب التمهيد ، فقد الحق به جزءاً من كتاب آخر "في مناقب الأئمة ، ونقض المطاعين على سلف الأئمة" (١) ، وقد رأى أن ينقل "تلك الفصول على وجهها إلى هذا الكتاب" فيزيد في بعضها وينقص من بعضها "دليلاً لسرعة الفراغ من ملتمس الأمير" (٢) ، (٢) غير أن قدرة الباقلاني قد تآزر تهدف إلى غاية أخرى ، إذ ليس لسد الفراغ الذي يشكو منه الأمير فحسب ، وإنما كانت أيضاً لوضع كتاب جامع مختصر ، يبين الأمير على التأمل والنظر في مختلف الأساليب والآراء المنتشرة في تلك الحقبة من الزمن وذلك لازالة الشكوك فيه والارتباب (٤) ، وهو الذي ترك بغداد إلى شيراز ليمثل جماعة أهل الحق ، وهذه الجماعة التي يدعي انتفاء اليأس ، فيرشد الأمير البويهي الشيعي في كيفية تنصيصه للأخبار ، وتمييزه بينها فيترك الفاسد منها ، ويأخذ ما يصلح ، فلا ينصر أماماً على إمام من الأئمة الأربعة الذين توالوا على الإمامة بعد النبي صلى الله عليه وسلم ، لأن الإمامة في رأيه تثبت بالنسبة وبالاختيار إذا وافقت الشروط الواجبة لها رأى الجماعة من أصحاب العدل والصدق .

(٤) الكلام في الخبر : فئاته ، وأنواعه

الخبر في تعريف الباقلاني ما يحتمل الصدق والكذب ، فإذا خفي عن هذا الوصف لا يكون خبراً (٥) ، ويقسم الباقلاني الأخبار إلى ثلاث فئات : ١ - فئة من الأخبار عن واجب حاصل وهذه الفئة تخبر عن أمر ثابت بثبوت الحوامر والعدم الضروري به مثل : ما تدركه الحواس ، وعدم اجتماع الضدين ، وكون الجسم في مكانين ، والخبر عن حدث العالم من محدث (١) ، ٢ - فئة ثانية من الأخبار وهي عن مجال مستنقح الحصول ، لا يصدر بالعدم الضروري والحواس ،

- (١) التمهيد (الطبعة ١١٥٧) : ٢٧٨ .
 - (٢) التمهيد (الطبعة ١١٥٧) : ٣٧٨ .
 - (٣) ان (نشرة ١١٥٧) للتمهيد تحوي هذه الفقرات التي لم أجدها في (نشرة ١١٤٧) للتمهيد مع ان الكلام في الإمامة موجود في النشرة الأولى ، والفقرات هذه مهمة مقدمة لفصول الأخبار والإمامة من حيث أنها تبين السبب الذي دعا الباقلاني إلى الحاق فصل الإمامة بالتمهيد .
 - (٤) التمهيد (الطبعة ١١٥٧) : ٥ .
 - (٥) التمهيد (الطبعة ١١٤٧) : ١٦٠ .
 - (٦) التمهيد (الطبعة ١١٤٧) : ١٦٠ .
- .../...

ولا بالحجج والبراهين ، ونحو الخبر عن حدود القدم وتقدم الحدث ، ٣ - وثقة الثالثة من الاخبار عن مكان الحصول ، وهذا الخبر مستعمل الصدق ، والكذب مثل : الاخبار عن مجيء المصطفى بلد ما ، ونحو الاخبار عن الرسول انه ارضى بامام بعده ^(١) ، وهذه الفئة من الاخبار اراد بها الباقلاني وعناها وميزها عن الفئتين الاخرتين لانه يرمي الكلام في الاخبار عن الامة .

والخبر في تقسيم الباقلاني نوعان : احاد ، ومتواتر ، فمن شرط الخبر الاسناد ان يكون واحدا ، وناقلا واحدا ^(٢) ، ومن صفات هذا الخبر انه لا يوجب العلم به ضرورة ، ولكن يوجب العمل به ان كان ناقلا عدلا شريفا ان لا يدارضه خبر آخر فيه ضد موجب له ^(٣) ، واما شروط الخبر المتواتر ، وهو النوع الثاني من الاخبار - ان يقع اضطرارا ، فنجد انفسنا عالمة بما تدره حواسنا بالضرورة فلا يمكن الشك فيه ، وقد يشار لنا في معرفته "النساء" والمامنة الذين ليسوا من اهل البيت ^(٤) . وان يكون الناقلون للخبر عالمين بضرورة المساعدة او السماع او ياتون مخترعين في النفس من غير نظر واستدلال . وان يكون عدد الناقلين له يزيد على الربعة وان ياتون الخبر عداقا من العدد جميعه فيكون خبر الواحد كالثاني ومن صفات ناقلي الخبر المتواتر ان يكون السلف كالحلف ، ويكون اول الخبر كآخره ووسط ناقله كطرفيه ، وان يثبت بهم نقل الاخبار بالتواتر - اي ان يمتازوا بصدق نقل الاخبار ^(٥) ، وقد تناول الباقلاني الكلام في الخبر المتواتر وميزه عن شروط الخبر المتواتر عند اليهود وذلك في فصل الكلام على اليهود في الاخبار ^(٦) .

(ب) في موجبات الامة : الرد على الشيعة :

١ - طريقة تولية الامام :

يقول الباقلاني ان الامام يتولى على الامة بطريقتين : اما بالكسب او بالاختيار ، فاذا فسد النصريتم الاختيار ^(٧) . والنبى صلى الله عليه وسلم في اعتقاد الباقلاني لم ينصر على امام

- (١) التمهيد (طبعة ١٩٤٧) : ١٦١ .
- (٢) التمهيد (طبعة ١٩٤٧) : ١٦٤ .
- (٣) التمهيد (طبعة ١٩٤٧) : ١٦٦ .
- (٤) التمهيد (طبعة ١٩٤٧) : ١٦٣ .
- (٥) التمهيد (طبعة ١٩٤٧) : ١٦٣ - ١٦٤ .
- (٦) التمهيد (طبعة ١٩٥٧) : ١٦٠ - ١٧٥ .
- (٧) التمهيد (طبعة ١٩٤٧) : ١٦٤ .

بعينه ولم يختار بغير طاعته على الأمة ، ولم يتز بمحض من التعصبة أو الجمود أو حتى بغير
واحد أو اثنين من أهل الحل والعقد هذا دليلي والامام من بعدى فاسموا له وأطيعوا ^(١) .
ويدعي الباقراني ان نبي الذي ادعته الشيعة في اختيار علي لا يلتزم بشروط النقل المتواتر
اذ لو ان واحدا لا ينتقل من خلف عن سلف ، وشاع رداً عيّنهم ولعلنا بالضرورة ان الشيعة
فرقة اذ قد تنقله من النص ، ثم ان هنا فرقا اخرى غير فرقة الشيعة مثل الزيدية معتزلة
بنداد تغزل عليا ، غير انها تنكر ان يكون النبي صلى الله عليه وسلم نص على امامته —
بعده ^(٢) .

ويرى الباقراني الاعتماد على الخبر الآحاد المتناقل عن الشيعة لعدم توفّر
شروط صدقه ، وشروط موافاته للنقل الذي ذكره عديده ، لان اخبار الآحاد التي يدعيها
"الموالون لعلي" ^(٣) ، وقد عارضها اجماع المسلمين في الصدر الاول للاسلام ودعوا الى ابطالها
وتراكم العمل بها "فالامة انتقلت لابي بكر ، وعمر رضي الله عنهما" وقد كان فيهم علي والديار
وعمار والمقداد ، وابو ذر ، والزيبر بن السوام ، وهذه حقيقة لا يمكن اخفاءها على احد ما دعا
الشيعة الى القول : "التقية ديننا" ^(٤) . ويقول الباقراني ان العمل بالخبر الواحد والصدق
به ياتون من الاخبار الاحادية في الشريعة "اذا لم يعارضه خبر بعد موجه" ^(٥) . اما اذا
الخبر الذي ادعته الشيعة ، فقد عارضه خبر آخر من البصرة والراوندية ركل من قال بالنص على
ابي بكر ، والتمس على الديار ، وقد يكون خبر هؤلاء اقوى واثبت ^(٦) . — هذا ما رآه الباقراني .

كما يوجب الباقراني العقد للامام بعد ان يفسد النص ، والدين يعد دون له ويختارونه
هم من افاضل المسلمين المرءمين من أهل الحل والعقد ، فالامامة لا تثبت لامام ، الا عن هذين
الطريقين : النص والاختيار ، ولينا بالاختيار اذا فسد النص ^(٧) .

- | | |
|-----|-----------------------------|
| (١) | التمديد (طبعة ١٩٤٧) : ١٦٥ . |
| (٢) | التمديد (طبعة ١٩٤٧) : ١٦٥ . |
| (٣) | التمديد (طبعة ١٩٤٧) : ١٦٨ . |
| (٤) | التمديد (طبعة ١٩٤٧) : ١١٨ . |
| (٥) | التمديد (طبعة ١٩٤٧) : ١٦٩ . |
| (٦) | التمديد (طبعة ١٩٤٧) : ١٦٩ . |
| (٧) | التمديد (طبعة ١٩٤٧) : ١٧٨ . |

وعقد الامامة عند الباقراني - الذي يتم لرجل واحد فاضل يكون من اهل الحل والعقد ، عقد ثابت صحيح شرط ان يكون الامام فاضلا وله مواصفات الائمة (١) . ولا يجعل عودة الاختيار الى كل فناء الامة في كل عصر من عصور المسلمين لاعتقاده ان من الصعب جدا سائر اهل الحل والعقد في سائر الامصار بحدان واحد ، واطباقهم على البيعة لرجل واحد ثم ان هذا الفصل لم يذلل الله تعالى الناس عليه ، وما لم يدعوا الى تركه ، فلم يحصل لسلف الامة ان يصعدوا في العقد لابي بكر وعمر ومشاري وعلي فناء الامة من اهل الحل والعقد في اعمار المسلمين ، ولا في المدينة ، فحضر مثلاً وهو الذي رد امر الشورى الى ستة اشخاص من الفضلاء لم يرد الامر الى اكثر من هؤلاء ، وقد كان فيهم من يملح للحل والعقد . ثم ان ابا بكر عقد الامامة للمسلمين وحده وتمت له البيعة وقد سلم عهده بعقده له (٢) .

(٢) شروط عقد الامامة :

يعتقد الباقراني ان ما من بيعة تتم الا وتكون في محضر من جماعة المسلمين قريقل محددين او اكثر ، ان ليس من شرط ينشترط في تحديد عددهم (٣) ، فللامة الحق في عقد البيعة ، وان كان ليس لها الحق في نسخ العقد ما لم يحدث من احداث توجب خلع الامام - والباقراني في فتواه هذه يتبع ما جاء في القرآن من حد في العقود ، فقد يملك المراء عن عقد البيع لكن لا يملك حرج حل العقد (٤) ، ثم ان الرجل صاحب الحل والعقد لا يعقد لنفسه لان الشريعة لم تفرض مثل هذا . واذا تم العقد لمدة ائمة في بلدان متفرقة ، فان العقد الاول يكون صالحا للعمل به فيقر بامامة من تمت له البيعة ، واما الباقي فعليه ان يتنازل للاول ويأبده ويواليه ، واذا لم يفعل ، يقاتل فقد يعتبر عاصيا عن الامر (٥) .

وان ادعى كل امام انه الاسبق تبطل كافة العقود ، وتم البيعة من جديد باختيار امام واذا حصل خلاف في اختيار واحد منهم ، فان الناس تقتاتلهم عليه ، حتى اذا تمكنوا من تنصيب بالقوة يهرء السلام ، واذا لم يتمكنوا يظل الناس في غلبة وفنته (٦) . اما اذا كانت

- (١) التمهيد (ابيدة ١١٤٧) : ١٧٨٠ .
- (٢) التمهيد (ابيدة ١١٤٧) : ١٧٦ .
- (٣) التمهيد (ابيدة ١١٤٧) : ١٧٦ .
- (٤) التمهيد (ابيدة ١١٤٧) : ١٧٦ .
- (٥) التمهيد (ابيدة ١١٤٧) : ١٨٠ .
- (٦) التمهيد (ابيدة ١١٤٧) : ١٨٠ .

مفتقرة على مذاهب مختلفة وآراء متضادة والحق منها في واحد ، فيدعي كل منهم انه على حق دون غيره (١) . فان من سبق وتمت بيده يكون الامام ، فيلزم الامة بالتالي راعته ، وينهيه المخالفة عليه باغيا يجب حربه ، اما اذا كان من اختلفت فيه الامة ليس ادلا للامامة ، ومن يتوجب عليه التكفير ، والتفسيق ، فانه في ذمة الله تعدد الامامة لواحد من اهل الحق دون غيرهم . واهل الحق في اعتقاد الباقراني هم اصحاب الاشعرية من اهل السنة والجماعة وهذه الفرقة التي ميزت نفسها عن الفرق الاسلامية الاخرى كالمعتزلة والرافضة والخوارج والشيعة . واذا اجد امام اهل الحق وتمت البيعة لغيره من الفرق الاخرى يصبح اهل الحق في دار غلبه وقهر اما اذا تفاوتت الفرق وتماثلت وانحاز اهل الحق الى فئة دون فئة ، ونصبوا حريا رايه ، فمن تعدد له البيعة من هؤلاء يكون هو الامام دون غيره من اهل الضلال (٢) .

(٣) صفات الامام :

والامام الذي تتم له البيعة في اعتقاد الباقراني هو امام اهل السنة والجماعة ، ومن صفاته : ان يكون من قبيلة قريش ومن سميها ، وان يكون عالما بمنزلة قاهر من نظارة المسلمين وقادر على تدبير الجيوش وادارة الحرب ، وان يكون رجل دولة مسلم ، واماما عادلا يقيم الحد بلا جدح ، ولا عداوة وان يكون عالما فقيها ، ولا يشترط الباقراني في الامام المرشح للامامة ان يكون معصوما ، ولا من انصر رجال الامة واشجعهم كما لا يشترط ان يكون الامام من بني هاشم فقد دون غيرهم من قبائل قريش خوفا من ان يصبح داعيا للفرقة الشيعية التي والى علي وناصرته (٣) .

(٤) ما يوجب خلع الامام :

يقول الباقراني ان ما يوجب خلع الامام ان يكثر بالاسلام بعد ان آمنوا به . وان يفسق ويظلم وينصب الاموال ، فان فسق الامام ودلعه واغتصابه لامواله وضرب النفوس ببعضها ، وتضييع الحقوق وتعطيل الحدود من الموجبات التي تدعو الى خله (٤) .

- | | |
|-----|-----------------------------|
| (١) | التمهيد (طبعة ١٦٤٧) : ١٨١ . |
| (٢) | التمهيد (طبعة ١٦٤٧) : ١٨١ . |
| (٣) | التمهيد (طبعة ١٦٤٧) : ١٨٢ . |
| (٤) | التمهيد (طبعة ١٦٤٧) : ١٨١ . |

حتى ابادهم - هذا على حد قول الباقراني - (١) .

(٢) في صحة ائمة عمر بن الخطاب :

وعمر بن الخطاب رضي الله عنه كان من فناء الامة ، وقد عهد اليه ابو بكر بالخلافة امام جماعة من الفضلاء ، من اهل العدل والعقد وانوا قد ردوا المنورة الى ابي بكر فاخترنا عمر فلم يستترنوا ، ولم يقتل قاتل منهم ، لم تعهد فيما جعل الله له العهد فيه ؟ ولا قال ذلك قاتل في غير مجلسه ولا بد وفاته (٣) .

ويعتبر الباقراني ان عقد الامة الذي عقد ابو بكر لعمر كان عقدا صحيحا ، فابو بكر كان اماما منصفا ، وعادلا عفيفا ، ولم تكن منه خيانة في مدة ايام نظره ، ولا بعد موته وقد جاز له عقد ائمة عمر فحصل رتم العقد له (٤) ، مما يدل على اجماع اهل الحق الذين قالوا بالائمة " ان للامام ان يعهد الى امام بعده " (٥) .

(٣) في ائمة عثمان بن عفان :

يشير الباقراني الى صحة ائمة عثمان رضي الله عنه حين بايعه عبد الرحمن بن عوف في محضر اهل الشورى ، وقد كانوا خمسة ، ما عدا طلحة الذي كان غائبا وحين قدم بايع ايضا - ويعتبر الباقراني ان البيعة كانت تتم لو عقد واحد من هؤلاء الستة للآخر ومن : طلحة (٧) ،

(١) التمهيد (طبعة ١٦٤٧) : ١٦٣ .

(٢) هو عمر بن الخطاب بن نفيل ، وينسب عمر الى عبد بن قيس : السدي يبنى بابي حنفية توفي مقتولا قتله فيروز ابو لؤلؤ سنة ٢٢ هجرية ، وكانت ولايته عشر سنوات وستة اشهر وخمسين ليال (انظر المعارف : ١٧٩ - ١٨٣) .

(٣) التمهيد (طبعة ١٦٤٧) : ٢٠١ .

(٤) التمهيد (طبعة ١٦٤٧) : ٢٠٢ .

(٥) التمهيد (طبعة ١٦٤٧) : ٢٠١ .

(٦) هو عثمان بن عفان بن ابي العاص بن امية ، يبنى بابي عمرو بابي عبد الله مات مقتولا سنة ٣٥ هجرية ، وكانت ولايته ١٢ سنة (انظر المعارف : ١٩١ - ١٩٨) .

(٧) هو المنة بن عبيد الله من المهاجرين الاولين ومن العشرة المسمين للجنة واحمد اصحاب الشورى قتل وله من العمر اربع وستين سنة وقد اختل في سنه هذه ودانة سنتين فاته ٣٦ هجرية (انظر المعارف : ٢٢٨ ، ٢٣٠) .

والزبير (١) ، وعبد الرحمن (٢) ، وسعد (٣) ، وعثمان ، وعلي رضي الله عنهم جميعا ، فليس لهم جميعهم يصلحون لعهد البيعة ، وإذا تمت لعثمان من عبد الرحمن بن عوف فهي بيعة صالحة . ويعتبر أن فعل عمر بن الخطاب في جعلها شورى كان فعلا صليحا ، فقد كان عليه أن يعهد لواحد منهم ، ولما أشكل عليه الأمر جعلها شورى بينهم لأن إصلاحهم في رأيه قد يكون في واحد منهم ، وإن كان لم يد رأيهم يكون للامة اثر صلاحا . وقد خاف وقع الفتنة بينهم فالتزم الاحتياط (٤) .

ويقول الباقراني أن عبد الرحمن بن عوف جمع القوم واستشارهم (٥) . وكانت مشورته لهم عمادة وأمانة في نقل الراء بينهم ، مما لم يطعن بها أحد من الصحابة الباقيين ، وقد تمت بيعة لعثمان على رأى من الصحابة ويرضى عنهم . فان عبد الرحمن اشترط في الامام أن ينهج نهج الشيخين ، وقد رفض علي شرطه هذا لالتزامه برأيه بعد القرآن والسنة . بينما قبل عثمان تقليد ابي بكر وعمر في الاحكام (٦) .

"والامامة اذا ثبتت بعهد صحيح مأذون فيه لم ينخلع صاحبها اذا اراد الناس خلعهم ، ولا ينخلع غيره ، ولا يذم أحد له ، ولا بالتأويل عليه" (٧) . وانما ينخلع الامام بما يحصل من الاحداث المدلومة الثابتة الظاهرة التي ترجب خلعها . وقد بين الباقراني شروط خلع الامام . فان عثمان رضى الله عنه قتل مظلوما ولم يصدر منه ما يوجب قتله فيحصر على المطالبة بخلعه ، واما الذين قتلوه فهم اهل فتنة ، وليسوا من اصحاب العدل والعقد ، ولعثمان صفات وفضل :

- (١) هو الزبير بن العوام بن خويلد كان الزبير خوارق رسول الله واحد العشرة الذين سموا للجنة واحد اصحاب الورق قتل سنة ٣٦ (انظر المصادر : ٢١٩ ، ٢٢٠) .
- (٢) هو عبد الرحمن بن عوف . . . بن الحارث بن زهرة ، وهو واحد العشرة الذين سموا للجنة واحد الستة الذين ذكروا للشورى توفي سنة ٢٢ هجرية (انظر المصادر : ٢٣٥ - ٢٣٦) .
- (٣) هو سعد بن مالك بن اسيب بن عبد مناف وهو واحد العشرة الذين سموا للجنة واحد اصحاب الشورى توفي سنة ٥٥ (انظر المصادر : ٢٤١ - ٢٤٢) .
- (٤) التمهيد (الطبعة ١٩٤٧) : ٢٠٣ - ٢٠٦ .
- (٥) التمهيد (الطبعة ١٩٤٧) : ٢٠٨ .
- (٦) التمهيد (الطبعة ١٩٤٧) : ٢٠٨ .
- (٧) التمهيد (الطبعة ١٩٤٧) : ٢١١ .

فهو من المهاجرين الاولين ، ومن اهل الحل والعقد ، وقد جاهد بنفسه وماله في سبيل الاسلام ، وقد خاف على القرآن من الضياع فاجتمع معه ، كما عرف الاحكام الشرعية في الحلال والحرام ، وجوز بيع العسرة واشترى بثروته ، ووسع مسجد النبي من ماله وقد ثبت بيعته مما اوجب طاعته ، والانقياد له ، وهو الذي لم ينصب الحرب ويرفع رايتها بينه وبين من سار اليه من المسلمين فقتل مظلوما (١) .

(٤) في مهاجرة علي بن ابي طالب (٢) :

يقول الباقراني ان الامة اسندت الى علي رضي الله عنه " لكمال خلال الفضل فيه واجتماع له " (٢) . فهو من الاوائل السابقين الذين كثرا جهادهم في سبيل الله ، وقد علم الصحابة مكانته لما له : من علم واسع ، وفضل ثاقب ، وفهم للاسلام عميق ولما يتمتع به من رأى نافذ ، فقد كان عمر رضي الله عنه يطلب مشورته (٤) ، فيظن جهاده في علم الدين وفقهه ، وقد اظهر تفوقا ومقدرة في قتال اهل القبلة ، فاستدعاهم وناظرهم ، وترك مهادتهم حتى يتهموا الى الله ، وقد حذر اتباعه من الهادة كما حذرهم من الغدر بهم (٥) . لهذا وكان علي شجاعا غنيا ، عالما بتدبير الجيوش ، واقامة الحدود والحرب ، وسمايا البيضة (٦) .

فعلي افضل من بقي من الصحابة ، ومن عقد له من اهل الحل والعقد ، وقد ابنى امامة المسلمين بعد مقتل عثمان ، وكره البيعة ولم يقبلها الا على مضض خوفا من تفشي الفتنة بين الامة . ويعتبر الباقراني ان امامة علي رضي الله عنه صحت بعد ان تمت البيعة

- (١) الشهيد (طبعة ١٩٤٧) : ٢٠٢ ، ٢٠٣ .
- (٢) ابو علي بن ابي طالب بن عبد المطلب ابن هاشم يكنى ابا الحسن قتل سنه ٤٠ وكانت ولايته خمس سنين الا ثلاثة اشهر (انظر المعارف : ٢٠٣ - ٢٠٩) .
- (٣) الشهيد (طبعة ١٩٤٧) : ٢٢٧ .
- (٤) الشهيد (طبعة ١٩٤٧) : ٢٢٨ .
- (٥) الشهيد (طبعة ١٩٤٧) : ٢٢٨ .
- (٦) الشهيد (طبعة ١٩٤٧) : ٢٢٩ .

له ، حتى وان تأخر طلحة والزبير عن مبايعته ، فهما ان لم يفعلا ، كان يتوجب عليهما قتالهما لانهما يعتبران مأثومين في تأخيرهما ، ان ليس لطلحة والزبير من حجة يعتجان بها . بعد ان والت الجماعة عليا ، وبايعته .

ان اهتمام الباقلاني بكتاب التمهيد لم يكن ليوجد لولا ان غلبت عليه فكرة اطلاع الامير الهويهي الشيعي على آراء اهل السنة والجماعة ، ولولا تفكير الباقلاني بالرد على مختلف الآراء المنتشرة ، انذاك ، فجاء الكتاب مكثفا من حيث المحتوى ، ومحشورا من حيث آراء الباقلاني المختلفة في تحديد العلم والمعلومات ، وفي وجود الله الواحد المرسل للانبياء والرسل وفي امامة الامة بعد عدم فتكلم في العلم وقسمه الى علم الخالق وعلم المخلوق وقسم المعلومات الى موجودات ومعدومات ، ممتدا على طريقة واضحة في الاستدلال : فالنقيضان لا يجتمعان ، ويمكن الاستدلال على صحة الشيء اذا كان مثله صحيحا ، والاستدلال على بعض القضايا العقلية بالتوثيق والسمع وبالتواتر .

وكان عليه بالتالي ان يعالج المسائل الكلامية المثارة من الملحدة والمعتزلة والرافضة والخوارج ، فتكلم في التوحيد واهطل القول بالطوائف لان فعل الطوائف لا يؤثر على الاشياء فهو يات مثلها ، كما اهطل تأثير الكواكب على عالما فالله تعالى قادر على ان يجعلها تؤثر اولا وتؤثر على هذا العالم ، لان الكواكب حادثة من خالق احدها لا من شيء . كما نزه الله تعالى عن الآفات فهو الذي يحدث الشيطان كما يحدث سائر الشرور وهو حكيم في فعله فير سفيه ، واما النور والظلام فهما من حملة ما احده الله في العالم ، وليس لهما قد يمين او فاعلين بالطبع والاختيار ، ثم ان الاجسام ليست من اصلين نور ولام ، فلا اجسام كلها من جنس واحد . ونزه الباقلاني الله عن القتل والصلب وتعرضه للموت ، فالله تعالى يستطيع ان يدفع عن نفسه هذه الآفات ، والمسيح في اعتقاده نبي مرسل وليس آلهما ، ولا ثبوت ثالث ثلاثة ، وان الله واحد احد لا شريك له واشتهر الباقلاني ان للمخالق صفاتا ذاتية ، من علم وحياة وارادة وقدرة وسمع وبصر وكلام وصفاتا فعلية من خلق ورزق وغيرها ، واعتبر ان صفات الذات الالهية غير صفات الافعال فهي موجودة مع عدسها بينما صفات الافعال معدثة ، وهذا ما دعا الباقلاني الى الرد على

ابي شاشم في الاحوال ، والى القول . بان الحال اما ان تتون معلومة ، او غير معلومة فاذا كانت غير معلومة فلا سبيل الى معرفتها واذا كانت معلومة

فهي موجودة او معدومة . واذا كانت معدومة فيستحيل ان توجب حكما ، اما اذا كانت معلومة ، وموجودة فيجب ان تكون شيئا وصفة . وهكذا بدورته الجدلية هذه يعود الى اثبات الصفات الالهية وشي غير موجبة لله تعالى ، لانه يتعالى عن العلل . وهذه الصفات كما بين الباقلاني زائدة على وصفه تعالى بانه شيء او موجود او ذات ، ووصفه بهذا بانه عالم وقادر ، قد ينتفي عنه مع وجود نفسه وكونه شيئا موجودا .

ويرى الباقلاني ان القرآن غير مخلوق فمن غير الجائز ان يكون مخلوقا في غير

لان كلام الهاري لا يكون صفة لغيره ، وكلاما لغيره فالمخلوق في اعتبار الباقلاني عرض محدث والعرض يغنى في ثاني حال وجوده ، فلا يمكن ان يكون القرآن مخلوقا كما تدعي المعتزلة لان خلقه هذا يدعو الى فناء كلام الله وبالتالي لا يكون الهاري آمرا ، ولا ناهيا ، وهذا ما ابطله الباقلاني . قاله آمرنا في باشيء وعن اشياء ، وليس كلام الله من جنس كلام المخلوقين ولا تشبه بحروف المعجم التي يعرفونها ، لذلك لا يستطيع المخلوق ان يوجد مثله .

وفي التمهيد ايضا تناول الباقلاني الكلام في قدرة الانسان على التصرف فالانسان يستطيع لكسبه يحرف الفرق بين قيامه وقعوده ، وكسب الانسان ليس بنفسه ولكن بقدرة تحدث له من الله تعالى ، وهذه القدرة عرض من الاعراض ، لا يمكن ان يبقى زمانين ، كما لا يقدر بها على مقدرين ، فاذا قدر الانسان على الفعل قبل حدوثه فهو لا يقدر على تركه كما لا يقدر على الشيء ذاته في كل مرة ، لان الله تعالى يخلق فيه هذه القدرة وقد يضمها في مرة ثانية وثالثة .

فالانسان ليس فاعلا للمصادات والله تعالى هو الذي يفعلها ، وبذلك يبط

الباقلاني القول بالتولد - الذي قالت به المعتزلة - فجزى العادة من الله في اعتقاده ليس افسادا للدالة العقلية ، التي يعتبرها المعتزلة ادلة صحيحة وهرهانه ان هذه الادلة تعتمد على دلالة الاعراض وهو اعتقاد فاسد في نظره ، وليس هو من الدليل الصحيح في شيء لان الاعراض تفسد في ثاني حال وجودها .

ويرفض الباقلائي ان يكون العقل وعده شاديا دون الرسل ، فالشرع واجب فـي
كمه لاثبات الافعال بدل العقل ، فاننا لا نستطيع معرفة الاحكام ما اذا كانت قبيحة
ام حسنة ، واذا لم يردنا ما ينبر عنها . فالشرع يدرك العلم بوجود الصلاة واثاء الزكاة
والسعي بين الصفا والصروة وغيرها .

ويعتقد الباقلائي ان الشريعة لازمة ما لم يبعث الله نبيا تظهر المعجزات على
يديه ويدعو الى نسخها . وقد جاء محمد صلى الله عليه وسلم فاطهر المعجزات على
يديه ونقض العادات فدل بذلك على صدقه ، ومن هذه المعجزات القرآن المرسوم فـي
المصاحف ، فالقرآن معجز سواء في نظمه ام في براعة تأليفه . وكذلك فيما انطوى عليه
من اخبار الغيوب وعلمها ، وفيما اورد من قصص الانبياء والرسل وسير الماضين في غابر
الازمــــــــــــــــان .

وفي التسميد ايضا تناول الباقلائي الكلام في الامامة ، وهي المكانة التي يتولاها
من يجيء بعد النبي ، فيشترط عليه شروطا معينة : ان يكون من اهل البيت والعقد ،
ومن قبيلة قريش وان يكون عالما ، قاضيا مدبرا للجيش ورجل دولة مسلم ، وان يكون اما
عادلا ، ولا يشترط العصمة في الامام ولا ان يكون من بني هاشم دون القبائل الاخرى
من قريــــــــــــــــش .

الخاتمة

مكانة الباقلاني :

يتبين مما سبق ، من هذه الدراسة ان الباقلاني كان علما شامخا في الفكر الاسلامي ، قوى المعبية رفيع المكانة في الجدل والكلام ، وهو الذي " له التصانيف الكثيرة في الرد على المعتزلة والرافضة والخوارج ، والسرجة والمشبهة والحشوية " (١) وهو العالم الاشعري من علماء الامة " الذين درجوا في درجات لا فائدة " من امامهم الاول ابي الحسن الاشعري " وتخرجوا بكلمات العلم المنقولة عنه كيف تناقلتهم الاعمار ، وتهادتهم الامصار ، وللمعوا في كل افق طلوع الشمس ونسجوا بمعكمات علومهم كل لباس ، وقضوا من كشف فواضع الكتاب والسنة كل حاجة في النفس " (٢) .

فهذا الاشعري المتكلم الذي ادخل على علم الكلام ، اساليب منطقية اتسمت بها باجتهاده الذاتي واطلاعه الواسع على القرآن والسنة وعلى علوم شيوخه من المتحدثين والمتفكرين والمتكلمين ، قد تصدر للإمامة على طريقتهم فذهبها واختار ما يناسبه منها ، كما فعل في لفظ الاختيار ففضله في بعض الاحيان على لفظ الكسب الذي استعمله شيخه الروحي ابي الحسن واستحسنه لوروده في القرآن الكريم . يقول السبكي : " ان الاختيار والكسب عبارتان عن معين واحد ، ولكن الاشعري آثر لفظ الكسب على لفظ الاختيار لكونه منطوق القرآن ، والقوم آثروا لفظ الاختيار لما فيه من اشعار قدرة للمهد . وللقاضـي ابي بكر مذهب يزيد على مذهب الاشعري فلهذا رأى القوم " (٣) .

والباقلاني كما يقول ابن خلدون " وضع المقدمات العقلية التي تتوقف عليها الادلة والانتازار ، وذلك مثل اثبات الجوهر الفرد ، والخلاء وان العرض لا يقوم بالعرض وانه لا يمتد زمانين ، وامثال ذلك مما تتوقف عليه " ادلة المتكلمين " فقد جعل هذه القواعد تبعا للمقائد اليمانية في وجوب اعتقادها لتوقف تلك الادلة عليها وان بطلان الدليل يوهن بطلان المدلول " (٤) .

- (١) تبين : ٢١٩ .
- (٢) طبقات الشافعية ٣ : ٤٣١ .
- (٣) طبقات الشافعية ٣ : ٣٨٦ .
- (٤) مقدمة ابن خلدون في علم الكلام ٣ : ١٠٤٦ - ١٠٤٩ ، تحقيق علي عبـد الواحد واني - (الدبعة الاولى ، ١٩٦٠) .

لقد اثار ابن خلدون الى نظرية الجوهر الفرد او الجزء الذي لا يتجزأ وهو الوحدة التي تنتهي . وقد عددها الباقلاني في كتاب التمهيد في الفصل الخامس بالمعالم والمعلومات (١) كما مر ذكره من قبل . فالجواهر يقبل من كل جنس من اجناس الاعراض عرضا واحدا ، وهو محدث كالمعرض الذي يفنى في ثاني حال وجوده وهو الذي يؤلف معه الجسم ، فالجسم يتألف من الجواهر والمعرض . وقد اراد الباقلاني الشرح من برهان نهاية الجواهر الفرد ليثبت حدوث العالم من موجود واحد قديم ، العالم محدث وليمر من وجود لتقديم آثار لان الله وحده هو القديم المتعالي يحدث الاشياء وينهيها .

واما اشارة ابن خلدون الى طريقة الاستدلال عند الباقلاني فهي لتدل على المنهج المنطقي الذي اتبعه في ان " بطلان الدليل يؤذن ببطلان المدلول " (٢) . فـ هذا النوع من الاستدلال يعتمد على ان الشيء وضده لا يمكن ان يجتمعا فالشيء ينقسم في العقل الى قسمين ، اما ان يكون صحيحا ، واما ان يكون فاسدا . واذا كان الشيء قديما لا يمكن ان يكون حادثا ، وبهذا الاستدلال نأتي على الحكم على الشائب من خلال ما تراه العين مشادة ، فالجسم لا يكون جسما الا اذا كان مؤلفا ، والعالم لا يكون عالما الا اذا اجتمعت به صفات العلم (٣) .

ثم هناك الاستدلال بالحسيات الظاهرة التي نشاهدها ، فلا نارا اذا كانت حارة ملتهبة ، ولا انسان الا اذا كانت له هنية الانسان (٤) . ونستدل ايضا عن طريق الاخبار المتواترة على ظهور المعجز وصدق النبي صلى الله عليه وسلم ، فالغيبـ المخبـر عند صادق ، وانتقال الاخبار اليها صحيحة ، وهناك ادلة التوقيف والسمـ التي تعتمد على الكتاب والسنة ، واجماع الامة ، والقياس الشرعي وما يجرى مجراه من ضروب الاجتهاد . وقد حاول من اتى بعد الباقلاني ان يطور هذه الطرق الاستدلالية

-
- (١) التمهيد (طبعة ١٩٥٧) : ١٧ .
 - (٢) مقدمة ابن خلدون ٣ : ١٠٤٦ .
 - (٣) التمهيد (طبعة ١٩٥٧) : ١٢ .
 - (٤) التمهيد (طبعة ١٩٥٧) : ١٢ .

ويوضحها كامام البرمين البويني في كتابه الشامل في اصول الدين ثم في الارشاد (١) .
والامام الغزالي في كتابه الاقتصاد في الاعتقاد (٢) . وكلا الامامين من الائمة الاشعرية
الذين توصلا بها الى اوج مراحلها .

الا ان ابن حزم الظاهري في كتابه " الفصل (٣) . نقد نظرية الباقلاني ---
بما فيها نظرية اصحابه الاشاعرة . فاثبت ان الجسم والجوهر وان العرض منه ما يـزول
ومنه ما لا يزول (٤) . وان " ليس في الوجود الا الخالق وخلق ، وانه ليس الخلق ---
الا جوهرًا عاملاً لا عرضاً ، واعراضاً معمولة في الجوهر ، وانه لا سبيل الى تعدى احدهما
على الآخر فكل جوهر جسم وكل جسم جوهر " (٥) . واختلف مع الاشعرية ايضا فـ ---
ان " النفس والروح اسمان مترادفان لسمى واحد ومعناها واحد " (٦) . فالباقلاني ---
يعتبر " ان الروح عرض وهو الحياة . فهو غير النفس " (٧) . وهذا تعبير ابن حزم .

وفي مكان آخر من كتابه يرد ابن حزم على الباقلاني واصحابه بوجود الطبائع ---
جملة " (٨) . وقد ذكر فيها الطبيعة ، والخلقة ، والسليقة ، والفريزة والسجية ---
والسيمة والبهلة " (٩) . ولما كان القرآن نزل بها ، ولما كانت هذه الالفاظ مسموعة
من النبي ولم يرفضها ولم ينكرها احد من الصحابة ، يعتبر ابن حزم ، ان هذه الطبائع
مخلوقة من الله تعالى فالله " رب الطبيعة على انها لا تستحيل اهدا ، ولا يمكن تبديلها
عند كل ذي عقل كلبيمة الانسان بان يكون ممكنا له التصرف في العلوم والصناعات " (١٠) .
ثم يقرن الصفات بالطبائع فيقول : " كل ما في هذا العالم والقوم مقرون بالصفات وهي
الطبيعة نفسها " (١١) .

-
- (١) الشامل في اصول الدين تحقيق على سامي النشار ، (دار المعارف بالاسكندرية ١٩٦٩) ، الارشاد ترجمه واعتنى بطبعه ج د ، لوسيانى (باريس ١٩٣٨) .
 - (٢) الاقتصاد في الاعتقاد تقديم د . عادل عوا ، (دار الامانة - ١٩٦٩) .
 - (٣) الفصل في الملل والاسماء والنحل لابن حزم الظاهري . مكتبة غياط - بيروت .
 - (٤) الفصل ٥ : ٦٦ .
 - (٥) الفصل ٥ : ٦٩ .
 - (٦) الفصل ٥ : ٧٤ .
 - (٧) الفصل ٥ : ٧٤ .
 - (٨) الفصل ٥ : ١٤ .
 - (٩) الفصل ٥ : ١٤ .
 - (١٠) الفصل ٥ : ١٥ .
 - (١١) الفصل ٥ : ١٥ .
- ٠٠٠/٠٠

وكذلك فعل ابن رشد في كتابه "مناهج الادلة" (١). فانتقد موقف الاشعرية عامة من نظرية الجزء الذي لا يتجزأ، ونظرية الجوهر الفرد معتبرا ان: "طريقته----- المشهورة انتهت على بيان ان العالم حادث وانتهى عندهم حدوث العالم على القسمة بتركيب الاجسام من اجزاء لا تتجزأ، وان الجزء الذي لا يتجزأ معدث، والاجسام معدثة بحدوثه، واريقتهم التي سلكوا في بيان حدوث الجزء الذي لا يتجزأ، وهو الذي يسمونه الجوهر الفرد بطريقة معنوية" (٢).

ولقد اثنى ابن رشد على الاشعرية باتباعهم العقل "في التصديق بوجود الله--- تبارك وتعالى" (٣). الا انه انتقد نظريتهم في الجوهر الفرد، لانها نظرية معنوية تفضي الى البطلان كما يعتقد. لكننا لا نعدم حديثا - في عصرنا - من يشير الى ان نظرية الاشعرية التي بلورها الهاتلاني - ولربما اوجدها نظرية تفضي الى الفلسفة فأرنست رينان. مثلا في كتابه "ابن رشد وفلسفته الدينية" (٤). ولويس غردييه وآب جـ----- قنواي في كتابهما "فلسفة الفكر الديني" (٥). اشاروا جميعا الى وجود فلسفة اسلامية في علم الكلام، وما رآه ابن رشد في نظرية الجوهر الفرد من صعوبة تؤدى الى الجـ----- يجده هؤلاء الهاتلون مـما للفكر الفلسفي الاسلامي يقول رينان "وقد لاح لهم - ويعني المتكلمين - نظام الذرات وان الله قادر على ابادتها وانه يخلق ذرات جديدة بلا انقطاع وانه يوتر في كل شيء" (٦). ويعني بهذا "ان الله يخلق الموت كما يخلق الحياة ويخلق الحركة. وليست النفس ذاتها غير حادث يديمه الله بلا انقطاع" (٧).

-
- (١) فلسفة ابن رشد تحقيق مصطفى عبد الجواد عمران . مكتبة المحمودية التجارية بمصر (الطبعة الثالثة ١٩٦٨) .
 - (٢) فلسفة ابن رشد : ٤٣ .
 - (٣) فلسفة ابن رشد : ٤٣ .
 - (٤) ترجم الكتاب عادل زعتر دار احياء الكتب العربية (القاهرة ١٩٥٧) .
 - (٥) نقل هذا الكتاب الى العربية الشيخ د. صهي الصالح وآب د. فريد جبر دار العلم للملايين بيروت (الطبعة الاولى ١٩٦٧) .
 - (٦) ابن رشد وفلسفته الدينية لارنست رينان : ١٢٠ .
 - (٧) ابن رشد وفلسفته الدينية : ١٢٠ .

فالباقلائي اشار في كلامه الى القدرة الالهية التي تتدخل في كل شيء ، واشار الى ان القوانين الطبيعية ليست سوى حادثة من الله تعالى ، فالسببية عنده لا تعتمد على الطبيعة وقوانينها وانما على الله وحده الذي يسن السنن ويأتي بالقوانين لها (١) . وان اورد ارنست رينان رأيه في المتكلمين ، لا نجد له تحديدا لشخصية متكلمة في هذا الموضوع ، وان كنا ندرك حين نطلع على أثر الباقلائي انه واحد من دعلاء الذين يشيرون اليهم " رينان " وبما ان - الباقلائي - يمثل الطبقة الثانية من الاشعرية (٢) . ففقد يكون سببا الى اعلان هذا المذهب الذي يراه رينان " انه احسن ما يمارضون به - ويعني المتكلمين - مشائية الفلاسفة " (٣) .

واما مؤلفا " فلسفة الفكر الديني " فيجدان ايضا ان الفلسفة الاسلامية موجبة - وود في علم الكلام يقولان " واذا بحثنا عن فلسفة اسلامية وجب علينا ان نطلبها هنا " اي " في علم الكلام " (٤) . وقد اشار الى قضيتين شهيرتين ينفرد بهما علم الكلام : الاولى فلسفة مذهب الاشاعرة في الجزء الذي لا يتجزأ ، والثانية في نظرية الاحوال وقد ردا ضبط الاولى الى الباقلائي بحيث انه اظهرها بصيغتها الانتهازية ثم اعاد القضيتين الى تفكير معتزلي اولاً . ودعا يقولان في مكان آخر في مذهب الباقلائي " هذا وانا ندلم ان الباقلائي واتباعه جعلوا قواعد مذهبهم الذرى تبعا للقرآن في وجوب اعتقادها ، وهو في نهاية الامر قول يجعل في ضوء واحد عقيدة التنزيه بمعناها المطلق ، والصيغة التي اخرج عليها هذه العقيدة تصور العالم من خلال مذهب الجزء الذي لا يتجزأ " (٥) .

ثم ان علي سامي النشار في " مناهج البحث عند مفكرى الاسلام " حاول ان يظهر الباقلائي فيلسوفا ايضا في اختراعه " لنظرية العادة وجريانها " فكل شيء يحدث في مستقر العادة بالضرورة والمشاركة " (٦) . الا ان هذه العادة قد تخزن بقدره الله تعالى

- (١) التمهيد (ابعة ١٩٥٧) : ٥٣ - ٥٩ .
- (٢) اشرنا الى الطبقة الباقلائي الثانية من الاشعرية في فصل الكلام في مذهب الباقلائي .
- (٣) ابن رشد وفلسفته الدينية : ١٢٠ .
- (٤) فلسفة الفكر الديني ٣ : ٥٦ .
- (٥) فلسفة الفكر الديني ٣ : ٥٨ .
- (٦) مناهج البحث عند مفكرى الاسلام : ١٦١ .

التي تتدخل باستمرار فالطبيعة عند الباقلاني مطردة وكذلك قوانينها الا انها ليست
قوانين مالمقة لوجود القدرة الالهية (١) .

فالباقلاني عظيم عنيد لمن رأى في شريعة الاسلام رأيا مختلفا عن رأيه وفوا الامام
الذي اتخذ من المسيح والبراهين ادلة للوصول الى المعرفة واتخذ من القرآن والسنة
مرشدا وماديا للفكر والجسد معا مما دعا القاضي عياض ان يعقب في كتابه ترتيب المدارك
على سيرة الباقلاني مادعا " وكان بعضهم يقول : جاء في الاثر ان الله كان يتعاهد
في رأس كل مائة برياني من علمائها يحيي لها دينها ، ويجدد شريعتها ، فكان امام
رأس اربع مائة ابو بكر بن الطيب رحمه الله " (٢) .

(١) مناقب البحث عند مفكرى الاسلام : ١٦١ .

(٢) ترتيب المدارك ٤ : ٥٨٧ .

المصادر والمراجع-----ع

المصادر : كتب الباقلائي اولا :

اعجاز القرآن للباقلاني . تحقيق احمد صقر ، دار المعارف ١٩٦٣ .
 الانصاف فيما يجب اعتقاده وما يجوز الجهل به للباقلاني . تحقيق محمد
 زاهد الكوشى ، الطبعة الثانية مؤسسة الخانجي القاهرة ١٩٦٣ .

البيان عن الفرق بين المعجزات والكرامات والحيل والكهانات والسحر
 وال نارنجات للباقلاني . تحقيق الآب ريتشر د يوسف مكارتى اليسوعى . المكتبة
 الشرقية بميروت ١٩٥٨ .

التصديق للباقلاني . تحقيق محمود محمد الخضيرى ومحمد عبد الهادى ابو
 ريدة دار الفكر العربى القاهرة ١٣٦٦ / ١٩٤٧ .

التصديق للباقلاني . تحقيق الآب ريتشر د يوسف مكارتى اليسوعى . المكتبة
 الشرقية بميروت ١٩٥٧ .

سوءالات الرى . كتاب صدر مع مجموعة كتب لمؤلفين آخرين جامعة دمشق
 ١٩٦٦ : كتاب فى التصديق للامام عبد القادر الجرجاني ، كتاب فى المدود والمقصود
 لاهي اسحاق الزباجي ، فصل فيه مختصر فى ذكر الالقب لاهي قاسم ابن الانهارى .

نكت الانتصار لنقل القرآن للباقلاني . تحقيق محمد زغلول سلام . دار المعارف
 بالاسكندرية ١٩٧١ .

الكتب الاخرى ثانياً :

ابن رشد وفلسفته الدينية لمحمود قاسم . الطبعة الثالثة ، مكتبة
الانجلو المصرية ١٩٦٩ .

اخلاق الوزيرين لابي حيان التوحيدى . تحقيق محمد بن تاويت الطهخى
دمشق ١٩٦٤ .

الارشاد لامام الحرمين للجوينى . ترجمة واعتنى بطبعه ج ، د ، لوسيانى
مكتبة ارنيست لورو باريس ١٩٣٨ .

الاقتصاد في الاعتقاد للغزالي . تقديم عادل العوا . الطبعة الاولى
دار الامانة بيروت ١٣٨٨ / ١٩٦٩ .

الامتناع والموانسة لابي حيان التوحيدى . تحقيق احمد امين واحمد الزين
منشورات المكتبة المصرية ببيروت ١٩٥٣ .

البداية والنهاية للحافظ ابن كثير . الطبعة الاولى مكتبة المعارف بيروت
١٩٦٦ .

تاريخ ابن خلدون منشورات دار الكتاب اللبناني ١٩٥٦ .
تاريخ بغداد ، للحافظ ابي بكر الخطيب الهمدانى دار الكتاب العربى
بيروت .

تاريخ الرسل والملوك للذهبى . تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم دار المعارف
بمصر ١٩٦٢ .

تاريخ قضاة لاندلس لابي الحسن النباهى . تحقيق اليحيى بروفنسال
الطبعة الاولى . دار الكاتب المصرى ١٩٤٨ .

التبصير في الدين لابي مظفر الاسفرائيني . تحقيق محمد زاهد الكوشري
مكتبة الخانجي القاهرة ١٣٧٤ / ١٩٥٥ .

تبیین کذب المقتري لابن عساكر . نشره القدسي دمشق ١٩٢٧ .
ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة اعلام مذهب الامام مالك ، للقاضي
عياض بن موسى البهيمي السبتي . مكتبة الحياة بيروت .

تهذيب اللباب وتقريب الانساب لابن الاثير . تحقيق احسان عباس مكتبة
المتن بخداد .

ثلاث رسائل في اعجاز القرآن : للرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني
تحقيق محمد شرف الله ومحمد زفلول سلام ، دار المعارف بمصر .

الديباج المذهب لابن فرعون . الطبعة الاولى مطبعة المعاهد القاهرة
١٣٥١ .

الشامل في اصول الدين لامام الحرمين الجويني . تحقيق علي سامي النشار
وفصل بديرعون ، وسهير محمد مختار ، دار المعارف الاسكندرية ١٩٦٩ .

شذرات الذهب في اخبار من ذهب لابن العماد الحنبلي . مكتبة المقدسي
١٣٥٠ - ١٣٥١ .

طبقات الحنابلة للقاضي ابي الحسين بن ابي بعللي . تحقيق محمد حامد
الفتحي ١٣٧١ / ١٩٦١ .

طبقات الشافعية الكبرى لتاج الدين السبكي . تحقيق محمود الطناحي ، وعبد
الفتاح محمد العلوي ، الطبعة الاولى ١٣٨٥ / ١٩٦٦ .
.../...

طبقات الصوفية لابي عبد الرحمن بن موسى السلمي . تحقيق جودان بيدرسن
المكتبة الشرقية ، باريس ١٩٦٠ .

الطبقات الكبرى لابن سعد ، دار صادر - بيروت ١٣٨٠ / ١٩٦٠ .
طبقات المعتزلة لاحمد بن المرتضى . تحقيق سوسنة ديفلد فلزربيه - بيروت
١٣٨٠ / ١٩٦١ .

المعبر في خبر من عبر . للحافظ الذهبي تحقيق صلاح الدين المنجد .
الكويت ١٩٦٠ .

الفرق بين الفرق لمهد القادر الهخادى . تحقيق محي الدين عبد الحميد
مطبعة المدني القاهرة .

فرق وطبقات المعتزلة . تحقيق علي سامي النشار وعصام الدين محمد علي
دار المطبوعات الجامعية ١٩٧٢ .

الفصل في الملل والادواء والنحل لابن عزم ، بهامشه الملل والنحل
لشهرستاني . مكتبة خياط - بيروت .

الفهرست لابن النديم . المطبعة الرحمانية بمصر .
الكامل في التاريخ لعزالدين ابن الاثير . دار صادر بيروت ١٣٨٥ / ١٩٦٥ .
لسان الميزان لشهاب الدين بن حجر العسقلاني مؤسسة الاعلي للمطبوعات
بيروت الطبعة الثانية ١٣٩١ / ١٩٧١ .

المعارف لابن قتيبة . تحقيق ثروت عكاشة الطبعة الثانية ، دار المعارف
مصر .

مقدمة ابن خلدون لعبد الرحمن محمد بن خلدون . تحقيق علي عهد الواسد

وفي الطبعة الاولى ١٣٨٩ / ١٩٦٠ .

المنتظم في تاريخ الملوك والامم لابي فخر بن الجوزي . دائرة المعارف الشمان

بحيد راباد الدكن ، الطبعة الاولى ١٣٥٨ .

وفيات الاعيان وابناء انباء الزمان لابن خلكان . تحقيق احسان عباس دار

الثقافة بيروت ١٩٦٨ .

الولاية وكتاب القضاة لابي عمر محمد بن يوسف الكندي المصري ، تصحيح رفرن

كست مطبعة الآباء اليسوعيين بيروت ١٩٠٨ .

مشكلة الصفات الالهية في مذهب الاشعري واتباعه الاول المعظام ، للآب
ميشال الآرد ، مطبوع بترجم بمكتبة جامعة القديس يوسف بيروت .

المعجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم لمحمد فؤاد عبد الباقي . مطابع
الشعب ١٩٤٤ . القاهرة ١٩٧١ .

مناهج البحث عند مفكرى الاسلام واكتشاف المنهج العلمي في العالم الاسلامي
لعلي سامي النشار ، الطبعة الثانية دار المعارف ١٩٦٧ .

الموسوعة الاسلامية طبعة ١٩٦٠ الفرنسية .
نشأة الفكر الفلسفي في الاسلام لعلي سامي النشار الطبعة السابعة دار
المعارف ١٩٧٧ .

=====